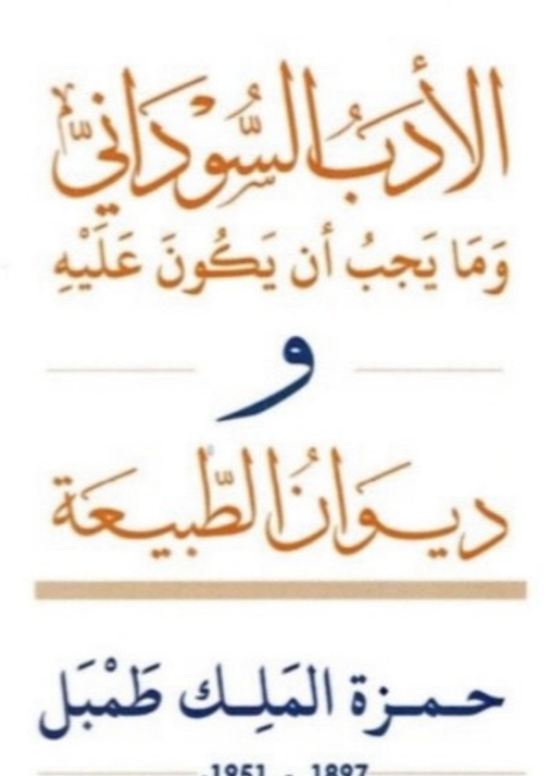


الأدبُ السُّودانِيُّ وَمَا يَجبُ أن يَكُونَ عَلَيْهِ

و

ديـوانُ الطّبيعة



”

يدعو «طمبل» في نقد الشعري إلى تجديد في بنية الشعر التقليدي والخروج على شرطه البلاغي. فالشعر ابتداع (مجموعة صور لا مجموعة قصائد) ترتسم في ذهن قارئها لتكوّن مدخلاً سياقياً زمانياً ومكانياً متكاملاً للنص الشعري. ويضرب «طمبل» في ذلك نموذجاً عن قراءة مقطوعة مترجمة من الأدب الروسي فإنها أغنته بروحها وتخطّت بذلك حدود زمانها ومكانها بشعريتها الجميلة الناتجة من بساطة تعبيرها وعدم كُلفتها. فإظهار الشاعر لسياق تجربته الروحية وبيئته الزمانية والمكانية هو إضافة للنص الشعري وليس تعميم له كما يرى دعاه الشعر التقليدي. وجمالية النص الشعري هو في تعبيره عن عصره وليس العصور الأخرى التي تختلف عنه وتفارقه جمالياً. والشاعر يُظهر سياق عصره الذي ينتمي إليه ويعبر عنه لكن بدون أن يقلل من شاعرية نصه بل يجعله كمبدأ عام يدخل تحت (سر ارتباط الفرد بالمجموع). فالنص الشعري يملك قدرة المفارقة وكسر الحدود والإغناء الجمالي. وعلى الشاعر أن يغضّ الطرف عن متبنّي الشعر التقليدي الذين سيؤول بهم الأمر، أثناء سيرهم في الطريق المتعرج للتعبير الجمالي الشعري، إلى أن يغيّروا اتجاههم عندما يبصرون من بعيد شعراء التجديد وقد سبقوهم إلى قمة الجمالية الشعرية لعصرهم.

تكملةً لمشروعه النقدي الجمالي للشعر، فإنّ «طمبل» يرفقه بديوان شعري يمثل تطبيقاً لأفكاره حول تجديد الموضوعات الشعرية مما يجعل هذا الديوان مفارقاً للتجربة الشعرية التقليدية لعصره. بداية من اسمه (الطبيعة) الذي يشير بشكل مستبطن إلى الاحتفاء بالطبيعة والعصر والسياق البشري الذي يوجد فيه الشاعر.

ديوان الطبيعة

جزء أوّل

نظم

الشاعر السّوداني

حمزة الملك طمبل

الطبعة الأولى ١٩٢١

الطبعة الثانية ١٩٧٢

الأدب السوداني
وما يجب أن يكون عليه

تأليف

الشاعر السوداني
حمزة الملك طمبل

الطبعة الأولى ١٩٢٧
الطبعة الثانية ١٩٧٢

المقـدمة

بقلم : الدكتور محمد ابراهيم الشوش

يضم هذا الكتاب الذي تم نشره تحت رعاية المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون عدداً من المقالات النقدية للناقد الشاعر حمزة الملك طمبل التي نشرت عام ١٩٢٨ تحت عنوان « الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه » وهي مقالات في نقد الأدب السوداني كان يوالي كتابتها في جريدة الحضارة عام ١٩٢٧ حتى أقفلت أبوابها في وجهه تخوفاً مما يمكن أن تجر اليـه هذه المقالات من سخط المجتمع الأدبي المحافظ آنذاك كما يضم الكتاب أيضاً مجموعة أشعاره التي كتبها بين عام ١٩١٦ ـ ١٩٣٠ .

والمجلس إذ يتولى رعاية هذا العمل الأدبي المبدع، نافضاً عنه غبـار الإهمال والضياع، خدمة لقضية الفكر والثقافة، وتأدية لرسالته الأساسية في حفظ تراثنا الفكري والثقافي ، يزيح الستار عن أديب نابغة ورائـد في مقدمة رواد الأدب السوداني الحديث خدم قضية الأدب السوداني ناقداً جريئاً شجاعاً يقوم نقده على المنطق لا على الاثارة وعلى الثقافـة المركزة

والوعي الكامل لرسالة الشعر لا على الانطباع المتسرع والفكرة العابرة ، وشاعراً أصيلاً استطاع أن يخترق سياج التقليد الأدبي في زمنه ليقدم لنا شعراً جديداً في موضوعه وشكله .

والمقالات النقدية التي بين أيدينا لا تمثل إلا جزءاً قليلاً مما كان ينوي تقديمه، فقد كان في نيته أن يخرج الكتاب في خمسة أجزاء ولكن لم ينشر منه غير هذا الجزء . فهو يحدثنا في المقدمة أنه كان ينوي الكلام بإيجاز عن الشعر عموماً ، والشعر في السودان خصوصاً ثم عن كتاب « شعراء السودان » ثم عن شعر بعض شعرائه الشباب ثم عن باقي فنون الأدب السوداني كالمغنى والتمثيل والموسيقى « وظني أن هذا يتم في أربعة أجزاء وسافرد جزءاً خامساً للكلام عن محاسن الشعر وعيوبه » ... والجزء الذي يضمه هذا الكتاب يتناول آراء حول الشعر عامة والشعر في السودان خاصة ونقداً لكتاب « شعراء السودان » ولثلاثة من شعرائه هم علي أرباب وأحمد المرضي وأحمد محمد صالح . ولا نستطيع أن نجزم ما إذا كان هذا الذي نشر يمثل كل ما كتبه في مجال النقد .

أما ديوان الطبيعة الذي نشر عام ١٩٣١ فهو يضم عدداً من القصائد أراد لها الشاعر أن تظهر دفعة واحدة دون أن يكون للمجتمع الأدبي سابق معرفة بها إذ لم ينشر أياً من قصائده في الصحف أو في المجالات العامة والخاصة .

وقد وعد بجزء ثان للديوان لم ير النور . وفي مقدمته إلى القارىء يقول إن شعر الديوان مجموعة صور لا مجموعة قصائد « بعضها لبعض ما تقع

عليه العين في الأرض والسماوات وبعضها لما تختلج به النفس من مختلف الأحاسيس » وقد كتبت قصائد هذا الديوان بين عام ١٩١٦ ـ ١٩٣٠ . هو إذن كان يمارس هذه التجربة أكثر من خمسة عشر عاماً كان صوت الشعر التقليدي الخطابي داوياً لا يفسح لغيره مكاناً. ولعل هذا من بين الأسباب التي جعلته يؤثر أن يحتفظ بشعره الذاتي لنفسه حتى يأتي أوانه فهو يؤكد أنه طالما تردد في طبعه ونشره على الناس وهو لم يفعل ذلك إلا « بدافع خفي ينطوي تحت سر ارتباط الفرد بالمجموع » . وهو يخبرنا أيضاً أن تسمية الديوان « ديوان الطبيعة » يتمشى مع ميوله النفسية ومع ما يحتمل أن يكتبه من شعر في المستقبل وأنه عانى تجربة التجديد في شعره إذ كتب ديواناً قبل هذا الديوان كان فيه مقلداً وقد حذفه جملة وان كان قد نشر بعض قصائده في « ديوان الطبيعة » .

والجمع في مجلد واحد بين مقالات حمزة الملك طمبل النقدية وأعماله الشعريه أملته ظروف علمية موضوعية سليمة . ذلك أن المؤلف نفسه أراد أن تكون مقالاته النقدية تمهيداً وتفسيراً وربما تبريراً لديوانه فهو يخبرنا في أول مقالة له نشرت في الحضارة عام ١٩٢٧ أنه إنما يقدم على ما يكتب ليكون مقدمة لديوانه المرتقب . قال ذلك قبل أربع سنوات من طبع الديوان . ومعنى ذلك أن طمبل كان يدرك أنه مقبل على تجربة جديدة في الأدب يحتاج لأن يهيىء لها الجمهور الأدبي الذي كان منغمساً في ذلك الحين في شعر خطابي تقليدي لا يرى له بديلاً . والشاعر الثوري كما يقول الشاعر الانجليزي وردز ورث هو الذي يخلق وينمي الذوق الذي

يحكم على شعره . فديوان الطبيعة إذن إن هو إلا تنفيذ فنيّ وعلميّ لما تضمنته المقالات النقدية من نظريات في الشعر . فالنقد والشعر يتسقان في تكامل لا مثيل له في أدبنا العربيّ المعاصر .

حمزة الملك طمبل يريد أن يصدر الشاعر عن نفسه ويعبر عن ذاته في بساطة وصدق بلا ضجة منبرية ولا تكلف ولا ضوضاء : «النظم شيء والشعر شيء آخر والذي يجب أن ننتبه إليه أولاً هو الشعور بالجمال جمال صنع الله المتجلي في جمال الطبيعة ، ثم وصف أثر ذلك الشعور في نفوسنا وصفاً صادقاً بأبيات لا أثر للتكلف فيها » . ويرى أن مظاهر الطبيعة من حولنا مجال واسع للتامل العميق الذي يسمو بالانسان الى حالة مرهفة تقربه من إدراك حقائق الكون يقول :

« الأدب يصح أن يكون قاعدة يقوم عليها أساس صالح للتدين لأنه عامل آخر (غير العبادة) من العوامل الموصلة لمعرفة حقائق الأكوان والأشياء وبالتالي إلى معرفة بارئها العظيم القديم » . ويريد للشعر السوداني أن يتخلص من قيود التقليد والمحاكاة والخطابية والمبالغة والتهويل الكاذب التي انعكست في شعر من تناولهم الشعراء . وأن تتمثل في الروح السودانية والقومية السودانية . ويؤكد أنه من خلال ذلك وحده يمكن أن يضيف أدباء السودان الى التراث العالمي ، هذه هي إجمالاً الأسس الفنية التي عبر عنها طمبل الناقد وعانى تجربتها كشاعر مرهف حساس.

وشعر طمبل الذى يطالعنا في ديوان الطبيعة نفس جديد في الشعر السوداني لا نجده عند محمد سعيد العباسي ، أو عبدالله عبد الرحمن أو

عبدالله محمد عمر البنا أو غيرهم من المعاصرين . ففي شعره نفس تغني عالمها الخاص باسلوبها الخاص الذي هو مزيج من جزالة الفصحى ومحلية الكلمة السودانية وأشكال التعبير السوداني المحلي .

والشاعر في هـــذا الديوان يصف ، ويهجو ، ويرثي ، ويعاتب ، ويتغزل ، ويستكشف لنا دخيلة نفسه وفكره وقلبه والعالم من حوله كل ذلك في جدة تبهرنا . فالشعر هنا ليس مجرد ألفاظ وأفكار قديمة تصاغ من جديد ولكنه عمليـة جديدة يشترك الشاعر فيها بكل حواسه . وكل شيء في حيـــاة الشاعر - مهما بلغ من البساطة - يستحيل الى موضوع شعري بالنسبة لذاته المفردة . .

مجموع هذه النبرة الفردية وهـــذا الموقف الذي يجد فيه العالم المعنى والقيمة ابتداء منه وبالنسبة اليه ، وتلك التعبيرية التي تطوع اللغة لمرادها حتى ولو خرجت على أصول الجزالة ، أو جنحت الى الخطأ ، وذلـــك الاختيار المتعمد للموضوع الجديد هو الموقف الرومانتيكي على حقيقته .

ولو أخذنا الموقف الفكري لطمبل من قضية الشعر ، واتفاقـــه مع آرنولد ورأيه في القيمة التعبيرية والحياتية للشعر ، وارتباطه بالذات مع الاتصال مع المجموع ، ودأبه لاستجلاء النفس البشرية ، لوجدناه مكتمل الوعي والاحساس بنزعته الرومانتيكية .

هـــذا الاحساس الخاص الذي يضفيه طمبل على موضوعاته ، مليء بالفجيعة والموت ، وربما كان متأثراً في ذلك بالمعري الذي صحبه معجباً

به طوال حياته . لكن ظاهرة الاهتمام بالموت كحقيقة أولية في الوجود ، كالحـــد الآخر أو الصفحة الأخرى للحياة ظاهرة رومانتيكية حقة والشعور بالموت هو الشعور بالحيـــاة وهو لا يتم إلا لشخصية مكتملة ناضجة ، اختمرت فيها التجارب.في قصيدة « عبرة وعبرة » نقرأ له :

ليس كالموت فارق أبدا　　بين هزل الحياة والجـد

وتتابعنـــا صورة الموت في قسوتها وجبروتها في هذا التشبيه المجازي القاتم :

إنما الكون كالرياض وما　　فيـه من عالمين كالورد
كلمـــا أينعت أزاهره　　قطفتها المنون عن عمد

فنحس انـه يؤكد حقيقة الموت كواقعة حتمية ولحظة الموت هي اللحظة التي يستيقظ فيهـــا الانسان على لا جدوى العيش : على العبث والضياع ، فالروض يستيقظ مبتسماً ، ولكن ما تـكاد أزاهره تتفتح على الحياة حتى ينتزعها الموت في قسوة وسخرية . أترى كانت في حافظته أبيات المعري :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم　　فيهـا والعيش مثـــل السهاد

فعاد بحكمة المتنبي :

ومن لم يعشق الدنيا قديمـــاً　　ولكن لا سبيـــل الى الوصال

حين يقول (رغم اختلاف درجة الشعر) :

هي دنياك أنت تعشقها وهي مجبولة على الصد
ليس يجدي بلوغ غايتها إنما الزهد والتقى يجدي

ثم يقول في آخر هذه القصيدة المتشائمة :

حسبنا والمنون تصرعنا أن هذا الوجود للفقد

استعار لفظته الأخيرة (الفقد) ، للتدليل على مظهر رومانتيكي أصيل يبرزه شعر طمبل ، فالاحساس بالفقد هو الاحساس بالزمن وأثره، ويرتبط به أبداً الحنين الى مجد أول ، وبراءة أولى – وموضوع (الفقد) الذي نجده في قصيدة « الطلل » هو قصر أحد ملوك « أرجو » ولكنه يرمز الى معنى عميق في نفس الشاعر ، فالطلل هنا هو المجد الغابر ، والموضوع هو التأمل في الزمان الضائع ، فالطلل الجاهلي رمز لموضوع الحنين والفقد : الحنين إلى الأيام الماضية والأمور الصغار التي تهب الحياة الجدة والمعنى والحرارة . وتجربة الطلل في هذه القصيدة ، هي تجربة الفقد والفاجعة هنا عالم كان ينعم بالخير والجمال والمجد ، ولكن ذلك كله قد زال وبقي الطلل شاخصاً يدل عليها،هذا ما يريد أن يعبر عنه الشاعر،فالطلل هنا نافذة يطل منها الشاعر على عالم الفناء .

اختيار الطلل موضوعاً له هذه القيمة الرمزية وله قيمته الأخرى ، وهي أنه طلل محلي ، روعته موضوعاً أنه اختير من قبل وعي الشاعر ، خرج على سنة التقليد التي حددت زاوية الاختيار والمعالجة . فاقرأ له هذه الكلمات الحزينة :

أدامك الله أيها الطلل وفدتك القلوب والمقل
أنت آثار دولة ذهبت وملوك الى الثرى رحلوا
لكل حي من العباد مقام قصير المدى ومرتحل
غير أن الذين أبصرهم قد يساوي آلافهم رجل

كرة أخرى يجابهنا إحساسه بالموت ، وإحساسه بعبث الأحياء (لاحظ الذهنية العامية في تركيب عجز البيت الأخير) .

إنه يقرر حقيقة الموت في البيت الأول ، ويقرر عدم إحساس الآخرين به كحقيقة وكلحظة فاصلة بين الجد والهزل ، ولهذا فهم أموات أحياء لا جدوى لوجودهم ولا فعالية لحياتهم ـ إنه أكبر من مجرد طلل هذا الذي يرسمه حمزة : انه مصدر إلهام ووحي .

مشرف أنت من رباك على الخلق لأغلى العظات ترتجل

إذن شاعرنا يتميز بأن لطافة حدسه ، واستشفافه للمعاني وللقيم التي تضمرها الأشياء ، تظهره على الدلالة الحقيقية للوجود الطبيعي ، وهذا الوجود الطبيعي بالنسبة له أكثر من جماد ، أكثر من شيء محدد ومنطو على ذاته . وموقفه هنا يقارب موقف أول الرومانتيكيين الانجليز وردزورث الذي كان يرى حياة في الطبيعة ويحيا تجارب صوفية عميقة من خلال إبصار وتجسيد واستبطان الطبيعة الجامدة .

والقيم التي فقدت هي النهى والصلاح والجود والعز والقداسة وهي نفس القيم التي نجدها في مراثي شاعرنا .

ويطبع شعر طمبل أن قصائده مقطوعات قصيرة من هنا تتمتع بوحدة جميلة ، فالحالة النفسية مفردة ، والاتجاه الفكري يجري خلال السياق ليفضي الى موقفه الأساسي،وهو رفض الصورة الناجزة للوجود، وقد نمر بصورة جديدة لها نكهتها الخاصة ، مثلاً هذا التشخيص الظريف للجماد في البيت الذي يصور فيه وقفة القصر على مر العصور .

مطرق مثل من قام لافشاء حديث وعاقه الخجل

كما نحس أن مصراعي البيت يلتحمان في نفس نثري لا يمحو جمال الشعر،بل إن موسيقى الشعر التقليدي تغتني بهذا الالتحام بين المصراعين فلا نحس آلية الوزن والقافية لنقرأ له :

مطرق مثل من قام لافشاء حديث وعاقه الخجل
خاشع إن تراه تحسبه من خشية الله حفه وجل
قد وقاه الاله من ضرر النهر فما حف سوره البلل
من ذراه الطير تخشع من تسبيح حيتانه فتبتهل
من سنا الملك قد تعطل لكن له من وقاره حلل

انسياب الجرس في نعومة وعفوية يضفي هالة من الابتهال على نفس شعره وترديده كلمات التسبيح والخشوع يكسب القصيدة جواً من الرهبة.

هذه الصوفية نجدها كثيراً في ثنايا شعر طمبل ، فهو يرفض الحياة المادية من حوله ويصفها كما وصفها شكسبير مسرحاً نؤدي فوقه أدوارنا البلهاء ثم يعم الظلام ويأتي الموت .

نحن في عالم كمسرح تمثيل   أرى ستره سينسدل

والصوفية هي مفتاح شعره وروحه،وقد تأثر كثيراً بالقرآن والسيرة كما يتبين لنا من استشهاده بالقرآن والحديث في مقالاته النقدية ، كما تأثر بابن الفارض إذ نجده يشير اليه في حواشيه ونحس روح القرآن وقيمه في كثير من أبياته ، نجد هذا التأثير الصوفي في الموضوعات التي يختارها وفي الأدوار التي يتقمصها ويحل فيها روحاً وتجربة كما نجدها في حسية شعره الغزلي .

نبدأ بقصيدة « الودع » وهي صورة محلية ، إذ يصور لنا في بساطة تجربته مع قارئة ودع عجوز مر بها ذات يوم ، ولكن القصيدة أكثر من صورة وأبعد من مجرد تجربة ، فقارئة الودع العجوز ، أو قارئة البخت على الرمل ، هي الحيرة الغريزية الأولى ، هي الحدس الفطري الساذج الذي يرى في الأشياء وعلاقاتها وأشكالها أكثر من معنى خفي ، والوعي المثقف حين يرقد الى البصارة إنما يريد ربط عالم الفكر بعالم الخرافة والسحر الأول ، وتحقيق يقين أولي وشامل . وعلى حساب الشعر الجزل الرصين نقبل عامية هذه القصيدة .

وفي شيخوخة شجرة ، نجد أن الشاعر يمارس عن وعي حرية في الاختيار لم يعهدها شعرنا ، هل قرأ « التينة العجوز » لايليا ابي ماضي أم تراه تأثر بالشاعر الانجليزي ورد زورث ؟

الشاعر في هذه القصيدة خارج التجربة ، إنه عين تلاحظ وتسجل

وتستخدم ذاكرتهـــا في التخيل ورسم الماضي ، وذاك موقف تقليدي ، لكن الجدة هي في الالتفات الى الشجرة الشائخة كموضوع.. وهو موضوع يقابل حالة نفسية للشاعر ، ومن ثم يمكننـــا أن ناخذ القصيدة كمعادل موضوعي لتجربة الشاعر بالشيخوخة . وهذا ما نعنيه بالتقمص والحلول في الشيء كما هو عند المتصوفة :

ذهب الشباب فاطرقت اطراق شيخ يائس

قـــد ودع الدنيا وما فيها بوجه عابس

صمتت وربت صامت يسديك وعظ النابس

فهي شائخة ويائسة وصامتة وتعطي • أيحس الشاعر بمرور حقبات شبابه وهرمه وأنه كان قبلة الشوق والهيام ، فبات مصدر استغراب حتى الرعب وربما يصبح في غد ناراً للآخرين تهديهم الوقود والدفء ؟

فالريح إن هبت تمـر بهـا كمـر الهاجس

هنا إعطاء شيء إنساني للجماد . فالريح تهجس لها بشيء ، وتثير فيها حالة من الوعي والشعور ـ الوعي بانها :

كانت يشوق جمالهـا عين الغـزال الآنس

فغدا يروع جمالهـــا الصافي فؤاد الفارس

وهـــي التي ستصير يوما ما وقود القابس

والصورة الثالثـة التي تعطينا محلية في الموضوع والتعبير واحساساً بنزعته الصوفية هي قصيدة الحاوي :

قد رأيت المحال رأي عيان ليس في حاجة الى برهان
رجل كالرجال جاء بما يعجز عن فعله بنــــو الانسان
يأمر المـــاء بالوقوف فينصاع وإن شاء لح في الجريـــان
يضع الشيء في يديـك فتلقاه على الرغم منك في يـــد ثان

التعبير مرة أخرى ، تتجاذبه الجزالة التقليديــــة واللغة المحلية . والشاعر يرسم لنا الجزئيات في انبهار طفل . هــذه الطفولة والتصديق المطواع هو التساؤل الفطري التساؤل الذي ينبني على قبول ما تراه العين وما يطرب له الحس ، ومع ذلك ينفر العقل المثقف :

زعموا أنه الخـــداع ولكن كيف في الشيء تخطىء العينان
وهي ملكي وكيف يخدع لي وشعوري وفطنتي وجنـــاني

هنا مفارقة Paradox والمفارقة سمة أخرى في شعر طمبـــل . ففي قصيدته « بين الله والطبيعة » التي أنشأها في وصف جنينة قصر المــــلا باسوان يرسم لنا الشاعر اعجابه بجمال تلك البقعة ، ولكننا نحس في ذات الآونة ضجره من ذلك المكان الجميل . وهذا الموقف رومانتيكي خالص . فالجنينة إنشاء البشر، والنفس الرومانتيكية تحن الى الجمال البكر ، جمال الطبيعة بكل فوضاها وكليتها وأجزائها لأنها تمثل البقاء والخلود ، أمـــا صنع البشر فهو الى فناء لنقرأ له :

نمـــا على أرضها الشجر وقد جرى تحتهـا النهر
وشيدت حولها بيوت بهــــا إله الورى ذكر

فيها الخضرة والماء والتاريخ وهي كالجنة :

ترى بها التين وهو غض — وفوقه خيـــة ذكر

العين هي التي ترسم لنا الجنينة والفعل الأكثر تردداً هو « ترى » :

ترى على القرب فندقا — يمثـل الأرض والبشر
كذلك الأرض فندق — الناس فيه على سفر

الصورة القديمة التي نجدها عند البحتري وشوقي ، صورة استخلاص العبرة من المنظر القديم والحادثة التاريخية في الأبيات التالية ، وإن كانت اشاراتها سطحية :

حدث لمستعبر نظر — عن المـلـك والاسر
كان هنا بينهم الـــه — يفجر النيــل للبشر

ولكن جمال هذا المنظر الذي بهره وفتن خياله وفكره لا يمنعه من هذا التساؤل :

جنينــــة حسنها بهـــر — ومثلها في الدنى نـــدر
لا تبلـــغ العين من مداها — مـــا تبلغ النفس والفكر
سئمت مكثي بهـــا فهل — أسلم في الخلد من ضجر ؟

وفي شعر طمبل غزل تحقيقي حسي ، وهذه الحسية المفرطة توأم للشبق الروحي الذي نجده عند المتصوفة ، لهذا فإن فهمنا للقصائد الغزلية على أنها مجرد اشتهاء جنسي ، لا يؤدي الى ادراكنا الحقيقي لها، هي أكثر

من مجرد تجارب حب ومتعة ، انها فرصة للادراك ، كما يتجلى لنا في قصيدته « فرصة » وهي مقطوعة قصيرة تصور فرحته بلقاء محبوبته :

ذاب قلبي عليه حين تـدانى   بين عطفي مسلماً لي عرضه
وقواما يكاد يقصف رطبا   طوله في الجمال ناسب عرضه
فاعتنقنا حتى إذا غلب الشوق   على الجسم كاد يفقـد نبضه
هو كالدمية المصاغة من ذهب   أحمر قد أفرغت بقالب فضة
يكفر الطـرف حين تعبث   كفي بأعضائه اللدان الغضة

حتى يقول :

فرصة لو تتح لناسك قوم   لتناسى الى القيامة فرضه

ولنقرأ له هذه التجربة بتفاصيلها الحسية الدقيقة :

بعد أن طال في هواه صدودي   سمـح الحب لي بلثم الخدود
وتهـاوى وقد تملكه العطف   على ساعدي بصدر وجيـد
فسرت كهرباء المحبة في الجسم   وقلبي غـدا بغير حـدود
كلما استعذب الدعابة مني   لج في عتبـه ليعجم عودي
وإذا اهتاج من حرارة قبلاتي   أومـا إليَّ بالتهديـد
فإذا مـا اندفعت ألثمـه   أسلم لي ثغـره الشهي الورود
وتثنى كالمستجير من اللوعة   أو ضم قـده الاملـود
يتغاضى عنـد احتكامي   في الخصر ويلتذ عند مس النهود
وله نفرة اذا حكم التيـه   كظبي مـن الشراك شرود

أو هذه الأبيات التي تصور في رقة ذلك الغرام المكنون :

كلما اشتد شوقها استعطفتني بكلام العيون لا باللسان
نظرات تشف عن مضض الصبر وتملي لخاطري ما تعاني
فيستثير الهوى كوامن نفسي وبها من مثاره ضعفان
فيبيح الثغران من ألم الشوق كلا ما تلذه الشفتان
وهي ترتاع حين يلتقيان ثم ترتاع حين يفترقان

وفي نفس هذه القصيدة (موقف غرام) نرى فكرته في العشق :

قد عشقناك لا لأنك أنثى   منك يقضي أوطاره الشهواني
لا ولا أنت الوحيدة في   حسنك حتى نقول مالك ثاني
بل أطعنا الهوى لأنك أنثى   جمعت ذاتها أدق المعاني

نتعلق بهذه العبارة الأخيرة لنبرز قوله :

يثمر الود ان تعارفت الأنفس   لا من تعارف الأبدان

أو قوله في قصيدة « الامتزاج الروحي » :

أحن اذا ابتعدت لحظة   وإن غبت عن عينها حنت
حنين النفوس الى بعضها   وليس حنينا الى شهوة

أليس هذا الوجد هو الوجد الصوفي؟ ثم لنلاحظ هذه الصرخة الوجودية العميقة :

عشت طول الحياة أشعر بالغربة بين الصحاب والاخوان

هذه الغربة الحادة هي نتيجة توجهه صوب غايات عليا ـ وجدناها في قصيدته (في جوف الليل) ـ ينكرها العالم في سعيه الحثيث في دروب القوت . وهو يخرج من كل هذه التأملات بهـذه الروح المتفتحة للحب والحنان .

غاية الله والطبيعة في الخلق كمال النفوس والأبـدان
إنما تعمر العوالم بالحب وفي الحسن بهجة الأكوان

هذه النفس الرومانتيكية المرهفة المغتربة في دارها الأسيانة التي تبني عالمها الخاص وأفكارها الخاصة ، قد مكنت حمزة الملك طمبل من خلق الموضوع الجديد . ولكن ماذا عن الشكل ؟

حمزة الملك طمبل يقول في مقدمته إنه يعتبر نفسه مجدداً في الموضوع لا الأسلوب . ولعله أراد بذلك أنه لم يخرج عن الوزن والقافية ، فنحـن نجد في ديوانه جدة في الشكل والموضوع. ونستطيع أن نقول عن أوزانه على وجه الاجمال انه يتناول الأوزان القصيرة كمجزوء الكامل ومجزوء الرمل والمجتث والمضارع الى جانب بحري الخفيف والمتقارب.وله قصيدة واحدة في بحر الطويل هي قصيدة « الى النفس » .

ونحن نلتمس خيوط تجديد كبير في الشكل مارسه طمبل في مقدرة فائقة ، أعني محاولة التوفيق بين النغم التقليدي للعروض والنغم الشعبي ومجاراة النحو مـع الخضوع للتركيب العامي . وطمبل متأثر بالأوزان الشعبية « الدوبيت » والوزن العربي التقليدي وهذه الأوزان المحليـة تتجاهل النحو ، فتقف بالسكون على كل كلمة وعلى كل قافية ، وهي لذلك لا تتبـع العروض التقليدي ولا تتبع أيضا الأوزان الشعبية لحرصها على

فصاحة الكلمة العربية ومجاراتها ما أمكن لذلك .

اقرأ مثلا قول طمبل في قصيدته (ذهب الوفاء) :

ذهب الوفاء فلا ندامة   مني عليك ولا ملامة

وقارنه بهذا الوزن المحلي :

يا حمامة مع السلامة   ظللت جوك الغمامة

ثم لاحظ التركيب في الوزن في قصيدته « يا ليتها » :

الصبر أصبح درعه بالي   مذ أشغلت بجمالها بالي

وقارنه بهذا النغم المحلي :

أندب حظي أم أمــالي   دهري قصدني ماله ومالي

وكذلك نجد التركيب العامي متناثراً في قصائده ، ولكنه ينتظم في عروض تقليدي كقوله في رثاء العمدة نجار بك :

فقدنا بفقدانــه سيدا   لخدمــة أوطانه شمرا

فهذا العجز من البيت من التركيب العامي في أوزان أغاني (الرق) والدوبيت عامة ..

هو إذن شاعر مجدد في الشكل والموضوع ، لقد تهيأ له ذلك لأنــه إنسان مثقف ، وبوعي منه كان يضمن ثقافتــه في شعره ، فاختياره للموضوع ، واحساسه بأنه يشق درباً جديداً للشعر ، وقيمه العليا التي رسمها في مقدمته للقارىء ، وأحكامه الصائبة في الشعر ، كلها تشير الى شخصية مثقفة شاعرة . آن الأوان لتجد مكانهــا في ظل تراثنا الذي نعتز بــه .

محمد ابراهيم الشوش

يونيو ١٩٧٢

الأدب السوداني

وما يجب أن يكون عليه

تأليف

الشاعر السوداني

حمزة الملك طمبل

الطبعة الأولى ١٩٢٧
الطبعة الثانية ١٩٧٢

الاهـــداء

إلى شبان هـــذا القطر وشاباته المشتغلين منهم بالأدب والميالين اليه أتقدم باول ثمرة من ثمـــار قلمي آملا أن تحوز رضاءهم وتقديرهم لتاتي بالفائدة التي توخيتها .

المناقل في ١ / ١١ / ١٩٢٧ حمزه الملك طمبل

مقدمة

سبحان من أوجد في كل قلب ما أشغله ! هذا ما يخطر ببالي كلما أخذ مني التعب في مطالعة كتاب. أو تبييض مقال في الآداب . فاضع كتابي أو قلمي وأحاسب نفسي لأعرف مكسبي من خسارتي فأجد (لمسالتي) حلين . و (لتضريبي) نتيجتين . تشعرني أولاهما بالخسارة وهي التي يتصل طريق (عمليتها) بالدنيا وشؤونها ولا ريب في هذا، فالأديب في هذه الناحية خاسر خاسر لأن الناس قد أقاموا بينهم وبينه سداً من المساوىء والآلام . أما أخراهما وهي التي تطل منها نفسي الى غير هذا العالم فتشعرني بالربح ولكنه شعور مقرون بالتسليم من جانبي بأن الأديب في الدنيا مغبون وفي الأخرى حظه غير مضمون فاكتئب هنيهة مفكراً في الخروج من مأزق هذا الاجتهاد للنفس والسير بها في غير هذا الطريق المجهول ولكن لا ألبث أن أجدني قد عدت بغير قصد مني الى قلمي أو كتابي مواصلاً السير في نفس الطريق ومن النقطة التي كنت قد وقفت عندها ! فاعود وأقول لنفسي متعجباً : سبحان الله ! سبحان من أوجد

في كل قلب مــــا أشغله ! ثم أسترسل فيما أنا فيه . ثم أعود ثانية الى نفسي وأتهمها بالوهم ولكن كلما رجعت لأصحح نظرتي في الحياة وجدت أن المسألة هي هي فلا وهم ولا خيال ولكنها الحقيقة التي تصدمني عند كل جـدال فاقتنع مؤمناً بأن الفرد قد دفعته الى الدنيا يد القدرة وهي التي تسيره داخل ما حددته له من الحدود . وأن كل حي في الدنيا يملأ فراغاً في دائرة حدوده أو قيوده لا يسده سواه . وهكذا نعمل كلنا بدافع مـن الطبيعـــة خفي متهالكين حول الدنيا كما يتهالك هوام الطير حول لهب السراج !

بعد هـــذا التمهيد أتقدم الى القارىء بأول نتيجة من نتائج عمل « السخرة » هذا وأعني بـه هذا الكتاب الذي لا أستحق عليه أجراً ولا شكراً لأني طبعته ارضاء لنفسي وإجابة لرغبتها وما أكثر ما للنفوس من الرغبات والآمال . والواقع أن الأفـكار كالبخار اذا تجمعت بحثت لها عن منفذ فان لم تجده انفجرت . غير أني أحمد الله لأن أفكاري ليست مـن النوع الذي ينفجر ولذا تراها قد انحدرت انحداراً هادئاً الى بطون هـذه الأوراق التي يتكوّن منها هذا الكتاب. ولا أريدأن أسمع ضجةتقوم حوله بنقد أو اطراء ولكن للقارىء أن يعلم أنني اذا ناقشت قصيدة منالقصائد التي قيلت في شخص من الأشخاص فـاني لا أعني الشخص الذي قيلت القصيدة في حقه بكلمة واحدة سواء كان هذا الشخص ممدوحاً أو مرثيـاً بل أضع شخصه بعيداً فوق رأسي ، ثم أتـكلم بعد ذلك في عيوب ما قيل في حقه من الكلام المنظوم . ودفعاً لما يمكن أن يتبادر الى أذهان بعض

أدبائنا يحسن أن أنوه بانه لا التئام بين ما قصده الأستاذان (العقاد والمازني) في (الديوان) وبين ما أقصده في هذا الكتاب . فهما قد حملا حملة لا تخلو من تحامل لهدم أشخاص يريدون أن يملأ النـاس فضاء هذا الكون طنيناً باسمائهم . أما أنا فقصدت فقط توجيه الأدباء هنا وجهة صالحة منتجة . وليقابل من تبسطنا في الحديث عنهم تبسطنا بشيء من التسامـح وحسن الظن لأنه خالٍ من سوء القصد وحسبنا على صدق هذا أننا لم نتعارف بعد إلا على الورق ..

وقد شاءت الصدف أن أبدأ هذا الكتاب (الذي سيتم في خمسة أجزاء) بشكل مقالات متسلسلة لجريدة حضارة السودان ومع أنها أقفلت بابهـا دوننا فلا أرى بأساً من اتمامه على الشكل الذي بدىء به وبالله نستعين .

المناقل في ٢٨ / ١١ / ١٩٢٧ حمزه الملك طمبل

الأدب السوداني

(١)

سيدي المحترم رئيس تحرير حضارة السودان بعد السلام

بين كل فترة وأخرى ساختلس من وقتي بقدر ما يمكنني من كتابة مقال لكم تحت هذا العنوان يشجعني على الدخول في موضوعه الزاخر أمران : أولهما لزوم بعض ما ساكتبه الآن ليكون مقدمة لديواني المحتمل طبعه عند كلامي عن الأدب في السودان وثانيهما اتفاقكم معي أو اتفاقي معكم في الرأي[١] على أهمية الموضوع وبناء عليه ساجازف بالدخول في هذا الموضوع الذي لم يحسن الدخول إليه أحد إلى الآن وإني لأرجو أن أوفق ولو بعض التوفيق .

---

(١) ذكرت الحضارة بعدد سابق أن الموضوع الوحيد الذي عالجه بعض الأدباء هنا هو نقد كتاب شعراء السودان فجاء نقدهم محتاجاً هو الآخر إلى النقد ثم كررت الرجاء الى الكتاب بعددها ٥٨٩ بـأن يقلموا عن سكوتهم ويتحفوها بنفثات أقلامهم خدمة للعلم والأدب فشجعنا ذلك على القيام بأعباء بحث هذا الموضوع المهم .

ويحسن أن أنوه باني ساتكلم بإيجاز عن الشعر عموماً والشعر في السودان خصوصاً ثم عن كتاب شعراء السودان ثم عن شعر بعض شعرائه الشبان ثم عن باقي فنون الأدب السوداني كالمغنى والتمثيل والموسيقى وظني أن هذا يتم في أربعة أجزاء وسافرد جزءاً خامساً للكلام عن محاسن الشعر وعيوبه حسبما اقتضاه منطق المتقدمين. ولا تنتظروا أن تسمعوا مني كلاماً لم يسبق لكم سماع مثله أو حكماً صارماً على شاعر أو كاتب بل لكم أن تنتظروا مني ابداء رأيي بوضوح في الموضوع، موضوع الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه وهو موضوع جليل خطير يجب أن يهتم بـه كل كاتب ومفكر وذلك لان قيمة الأمة أو شخصيتها أظهر ما تكون في أدبها قبل كل شيء آخر وكلما ارتقت آداب الأمة سمت مكانتها ومن هنا يمكن أن تشعروا معي بان ابراز صورة صحيحة للأدب السوداني أمر لازم وهو أمر يشعرنا قبل كل شيء بوجوب اصلاح (الحضارة) وتحسينها حتى تكون وافية بالغرض، الغرض الأدبي لا الغرض السياسي، واني أترك لحضرتكم شرح الوسائل التي تمكننا من الوصول الى تحقيق هذا المطلب السامي[1].

---

(١) لم يشرح لنا حضرة رئيس تحرير الحضارة الوسائل التي تؤدي الى اصلاحها وتحسينها كما طلبنا منه ذلك مع أن تحسين الحضارة أو انشاء مجلة أسبوعية أو شهرية تملأ فراغ أوقات الكتاب في السودان أمر لازم يجدون فيه مجالاً للتسلية (المفيدة غالباً) يذهب بهذا السأم القاتل والوحشة المستولية على النفوس التي شكت منها الحضارة نفسها مراراً وتكراراً. ←

(والحضارة) إن صح تعبيري هي المسرح الصغير الذي يمكن أن يظهر عليه أدباء السودان فيجب أن لا يظهر أمام المتفرجين (القراء) إلا بالشكل اللايق . دعانا الى هذا القول ما دعانا الى الاسف وهو مـا حصل ويحصل هنا من تطاول بعض الكتاب على بعض بمـا لا يليق من جارح القول الذي ليس له أي موجب وهذا منشاه في الغالب عدم اكتمال تربيتنا ووجود فراغ كبير من نفوسنا لم يزل قفراً خرباً في حاجة عظمى الى الاصلاح والتعمير بـل قل معي أيها القارىء إننا صغار النفوس والنفوس الصغيرة تثيرهـا المؤثرات الصغيرة . فالشخص الذي يحسن كتابة سطرين يزعم أنه صار كاتباً ويتأفف من النقد الصحيح البريء ! والشخص الذي ينظم مـن الشعر بيتين يرى في نفسه أنه أصبح شاعراً فيملأ الارض شدواً هو أشبه بالصخب على سبيل الاعلان عن نفسه ليس إلا ! والناقد لا يتقدم إلا وهو مزود بالغرور ، مدفوع بدافع الرغبة في الظهور على حساب غيره ! هذا حق . ولا يجعلنا في حل مما نفعل هـذا الصراع الادبي الغير أدبي المحتدم بين أدباء مصر ، ولو أن هذا مما يدفعني أحياناً الى اليأس من صلاح الحال .

أكتب هذا وقد تجدد في نفسي ذلك الشعور العميق بالاجلال الذي

← واننا لنرجو من صميم أفئدتنا أن تكون (حضارتنا) عنوان حضارتنا فلترفع نفسها درجات لتتناسب حالتها مع حالة التقدم والعمران العجيبة التي وصل اليها السودان ليكون فضل الحكومة (لمن هم خارج السودان) أظهر مما هو الآن .

بعثته في كل جارحة من جوارحي صور الطيار الاميركي (لندبرج) التي مع أنه أتى بعمل لم يسبقه إليه أحد تراه في صورته وهو يشق له طريقاً بين عشرات الألوف في مطار (كرويدون) بلندن . وفي صورته وهو إلى جانب والدتــه في السيارة وحوله مئات الالوف من المحتفلين به في شوارع نيويورك . وفي صورته وهو أمام رئيس الجمهورية . تراه في كل هذه الصور وفي غيرها شاباً بسيطاً تكاد وداعته تتجسم وكأنــه غير (لندبرج) الذي يحتفل به ملايين البشر ! حقاً إن هذه عظمة خلقية تقوم بجانب عظمته الفنيــة . مثل هذا التواضع يجب أن يتحلى به العجزة أمثالنا بدلاً من هذا الغرور على أن لا شيء . يجب أن نسلم بانهلا ينبغ منا كاتب ولا شاعر وهذا عذرنا فيه واضح وهو أننا لم نزل في أول الطريق. ولكن لا عذر لنا في عدم التخلق بالاخلاق الفاضلة يجب أن نصدم أنفسنا بالحقائق ونترك المجاملة في الحق التي هي ضرب خطر من ضروب النفاق وسبب لهذا البوار الاخلاقي وليذكر المتعلمون منا قبل غيرهم ما قيل من: (أننا لا نحتاج لكثيرمنالعلوم ولكننا نحتاج لكثير من الاخلاق الفاضلة). إن البساطــة مظهر من مظاهر الجمال فلنلتزمها ولنحطم قيود هذا التكلف المقوت الذي هو نتيجة التقليد الاعمى البارز في كل مظهر من مظاهر حياتنا .

« أديب »

المناقل في ٢ أغسطس سنة ١٩٢٧

نشرت الحضارة مقالنا السابق بعددها الـ ٥٩٠ وعلقت عليه بالكلمة الآتية :

(الحضارة) نشرنا هذه المقالة حرصاً منا على أن لا يطوى ما تضمنته من حقائق وأفكار وروح ولكن كاتبها قد ضن باسمه الصريح ولم يبينه حتى ولا في كتابه الخصوصي بل اكتفى بامضاء (أديب) ولا نظنه يجهل القانون الصحافي في ذلك أو ينسى تنبيهاتنا الكثيرة في هذه الجريدة ولذا نرجوه في الرسائل الآتية التي وعد بها الجريدة أن يبين [1] لنا خصوصياً من هو ثم يوقع على مقالاته بكلمة (أديب) أو التوقيع الذي يختاره وإلا فنحن في حل من أن نستثني هذا الاستثناء الذي ارتكبناه تشجيعاً لمثل هذا القلم الذي تدل أسطره على أن صاحبه من الكتاب الذين ننشدهم .

---

(١) قد أجبت حضرة رئيس التحرير إلى مـــا طلب ووضحت له اسمي بجواب خصوصي مشترطاً عليه أن ينبهني خصوصياً إلى أي مقال لا يرى نشره أو يتكرم برده لي ؛ وآسف لأن ما نشرته الحضارة بعددها ٦٠٢ لا يتفق مع هذا الشرط ولا مع دعوتها الصادقة للكتاب بأن يتحفوهـا بنفثات أقلامهم خدمة للأدب والعلم .

الأدب السوداني

- ٢ -

الشعر

ما هو الشعر ؟

أطرح [١] هذا السؤال وأنا أظن أن القارىء سيشعر قبل أن يسمع مني الجواب أن في طرحه عبثاً لا داعي له لأنه سؤال يجد سائله أنواعاً من الأجوبة عليه في بطون كتب الأدب . وهـــذا صحيح ولكن لو عرف القارىء أني قرأت أكثر من ٥٠٠ صفحة من (اللزوميات) ولم تطق نفسي قراءة صفحة واحدة مما كتبه (أبو العلاء) في مقدمة لزومياته هـذه عن الشعر وأوزانه لعذرني . قد يكون في مثل هذا قطع مني للصلة بين الماضي والحاضر (من هذه الوجهة فقط) ولكنه قطع رغبت فيه نفسي ويبرره عندي أمر واحد مهم وهو أن في مظاهر جمال هذا الكون وجلاله مما يثير أجل وأسمى العواطف في نفوسنا ما يجب أن يصرفنا عن الاشتغال بحفظ

---

(١) نشر هذا المقال بعدد الحضارة نمرة ٥٩٣ رقم ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٧ وقد أدخلنا عليه زيادة اقتضاها التوسع في الشرح .

أوزان القوافي وبحورها لتحسين (الصنعة) ويكفي أن يعبر الشاعر عن عاطفة من عواطف نفسه بأبيات من الشعر بسيطة صادقة لا أثر لتكلف (الصنعة) فيها . إن لكل نفس عالمها ولذلك فلكل نفس اتجاه خاص وذوق خاص ويمكن أن تجيب على مثل هذا السؤال بجواب خاص أيضاً. أستغفر القارىء أن أكون قد أوهمته بأني ساجيب على السؤال بجواب له شأن خاص ولكنني ساجيب عليه بقدر ما يوحيه إليّ شعوري الخاص فاسمع :

الشعر كما يفهمه عامة النـاس هو كل كلام مقفى موزون لا فرق في ذلك بين ألفية (ابن مالك) والقصيدة الرائعة للاستاذ (العقاد) وذلك لأن الكثيرين من قراء الشعر ومحبيه لا سيما في هذا البلد لا يكادون يفرقون بين النظم والشعر مع أن الفرق بينهما يكاد يكون كالفرق بين الشخص الذي يتمتع بالحياة وبين تمثاله المنحوت من الرخـام ! هذا جسم له روح يعمرها الاحساس بالحياة وهذا جسم لا روح فيه . أما الشعر الحقيقي فهو صورة حقيقية لنفس الشاعر « أعني الشاعر المطبوع لا الشاعر المقلد » . وتكون صورة نفس الشاعر كاملة في كل شعره لا في قصيدة واحدة من قصائده إذ أن القصيدة الواحدة إنما تعبر عن خلجة من خوالج النفس أو أثر من آثار الأعراض الظاهرة في باطنها . ولو جاز التمثيل على هذا بجملة واحدة لقلنا إن شعر المرحوم (ولي الدين يكن) في مجموعه عبارة عن (خلاصة نفس كريمة تحترق) وشعر (شوقي) في مجموعه عبـارة عن (ماء البحيرة) .

لقد قرأت بعضاً مما كتبه دعاة المذهب (الأدبي) الجديد عن المذهب القديم ودعاته فلم أهتد فيما قرأت إلى تعريف ظاهر يصح أن يكون حداً فاصلاً بين المذهبين ولكنني اقتنعت بأنهم لو قالوا (اصدقوا) وسكتوا لكان في هذه الكلمة فصل الخطاب .

أجل . لا تظن أيها القارىء أنه مطلوب من الشاعر العصري شيئاً أكثر من صدقه في التصوير والتعبير . والواقع أن النفس الشاعرة لا يروقها من الشعر إلا الصورة الصادقة الرائعة والروعة لا تكون على أتمها إلا في التزام الصدق والدقة والبساطة وهي كما قلت في المقال السابق (مظهر من مظاهر الجمال) . ويمكن أن نختصر المسافة على القارىء بجملة واحدة وهي أن كل المطلوب هو (اخراج الصورة على أصلها) .

أقرأ الديوان للشاعر في بعض الأحيان فانتقل من القصيدة الى القصيدة كمن ينتقل من العالم الى الآخر . تلك ترفعني الى السماء وهذه تهوي بي الى الأرض . وقد أقرأ بيتاً من الشعر فتنبعث ضحكة بريئة من قرارة نفسي أو تنحدر عبرة صادقة من طرفي بل قد أسترسل في قراءة قصيدة من القصائد فينحدر بي معنى بيت من أبياتها الى غير قرار ! أو يكشف لي بيت من أبياتها عن عالم كان عندي مجهولاً ولا عجب في هذا فمجال الأدب غير محدود بل له مجال (عرضه السموات والأرض) خليق به (الذين يتفكرون في خلق السموات والارض) هذا هو الأدب الحق فاين نحن منه ؟ نحن كما قلت لم نزل في أول الطريق .

قد يظن قارىء أن في هذا خلطاً مني بين الدين والآدب وإني لأرجو أن يتحول ظنه الى يقين فيؤمن بأن الأدب يصح أن يكون قاعدة يقوم عليها أساس صالح للتدين لأنه عـامل آخر (غير العبادة) من العوامل الموصلة الى معرفة حقائق الاكوان والاشياء وبالتالي الى معرفة بارئهـــا العظيم القديم !

لن أتركك تبتعد عني أيها القارىء قبل أن أقنعك بصحة رأيي هذا من الجهة التي تميل اليها أنت فاسمع : ـ

قال النبي محمد عليه السلام : (تفكر ساعة خير من عبـــادة سنة) أتدري لماذا ؟ الجواب عندي هو لأن التفكر يكشف للمتفكر عن لبـاب المخلوقات وحقائقها فيدفعه الشعور بعظمة صانعها الى إجلاله والاقتراب من دائرة معرفته .

لعلك ستقول مستفهماً : وما علاقة ذلك بالأدب والشعر ؟ والجواب هو أن الشعر كما عرفه الاستاذ (العقاد) : (لب اللباب وحقيقة الحقـائق والجوهر الصميم من كل ما لهظاهرة من متناول الحواس والعقول ..الخ).

أرأيت اذن مبلغ اصابتي في قولي أن للأدب مجالاً عرضـه السموات والأرض خليق به (الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض) وأنه (موصل) آخر الى ما وراء الطبيعة . الى المولى سبحانه وتعالى .

انظر معي أيها القارىء الى الأدب من النـاحية التي تتصل بالأخلاق فماذا ترى ؟ ترى أن سيدنا محمداً وغيره من الرسل عليهم السلام إنما بعثهم

الله للهداية والارشاد وتتميم مكارم الأخلاق . لعلك ستسأل متعجباً :
وهل أخلاق البشر عند الله من الأهمية بمكان يستندي كرمه لبعث رسول فيهم ؟ وجوابنا (نعم) لان المقصود شيء عظيم هو الكمال لان : ـ

غاية الله والطبيعة في الخلـــــــق كمال النفوس والابدان

تذكرت وأنا أكتب هـذه الحالة التي تعتري بعض المخلصين من الادباء والفلاسفة التي يعبرون عنهـا بـ (حالة الصفاء والاشراق) فلم أتردد في الاعتقاد بانها شبيهة بحالة (البسط) التي تغمر بعض التقاة المتدينين !

وبعد ألا يرى معي القارىء أن في هذا مثلاً شبه عملي لالتقاء الادب بالدين في الطريق المؤدي الى الله ؟

هذا رأي جديد في الادب لا يسلم صاحبه من النقـــد . واذا قلت (الادب) فانما أعني ركنه الاهم وهو الشعر . واذا قصرت هـذا الرأي على الشعر فلن أعـــدم من يصدمني بقوله تعالى : ـ (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) وهذا القول لنا منه مخرج وهو أن رأينا قاصر على الشعراء الحقيقيين لا الشعراء المقلدين الثرثارين الذين هم في كل واد يهيمون والذين يقولون ما لا يفعلون. وإني لاذكر بعظيم الاجـلال استثناء المولى سبحانه وتعـــالى للشعراء الحقيقيين بقوله في سياق الآية : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

وقصـــارى قولي إن الشاعر الحقيقي مؤمن حقيقي وبديهي أني لا أشترط أن يكون المؤمن الحقيقي شاعراً حقيقياً لانــــه يسير الى المولى

بطريق التعبد ولكن مصدر وحي الاثنين واحـد . والشاعر الذي شغله التمتع بجمال الطبيعة عن السير الى مـا وراءها شبيه من بعض النواحي بالولي الذي استوقفته الآيات والكرامات عن السير الى الله . ومن النوعين من إذا زل هوى إلى غير قرار وذلك كالشاعر الملحـد والولي المسلوب المطرود .

بعد هذا أقول إنه قد آن الاوان لنفض غبار هـذا الكسل وتحطيم قيود هذا الاستسلام للنقائص والشهوات والبروز الى ميدان العمل الجدي لبلوغ الكمال : كمال النفوس والاخلاق .

يحسن أن نقف بالقارىء عند هذا الحد من الكلام ثم نسير به في طريق نتكلم فيه عن الشعر في السودان وموعدنا منه عدد تال ان شاء الله ؟

(اديب)

المناقل في ١١ / ٨ / ١٩٢٧

لزوميات المعري

تحت هذا العنوان نشرت الحضارة بعددها نمرة ٥٩٨ المقال الآتي [١] موجهاً إلينا من صاحب الامضاء رداً على المقال السابق وهو : -

ان لزوميات أبي العلاء المعري من الأشياء التي أتت قبل أوانها بمئات السنين . وهي لم تزل سراً غامضاً حوت من الفلسفة المثلى ما يعجز عن فهمه أولوا الافكار العاديــة فهي تحتاج الى باحثين ذوي أفكار سامية وعبقريات خارقة يعرفون كيف يصرفون الافكار ويردونها الى مصدرها النفسي . والى الآن لم يصل أدباء العربية الى رأي حاسم عن المعري . فبعضهم يرميه بالالحاد والبعض الآخر يعــده من الفلاسفة . وقد درس الغربيون لزوميات أبي العلاء وقدروها حق قدرها . وأقروا أن الشرق مبعث الفلسفة الحقيقية الخالية من الكذب والتمويه . وأن الذي يريـد أن يدرس لزوميات المعري يجب عليــه أن يبدأ بدراسة مقدمتها درساً وافياً حتى يفهم (لزوم ما لا يلزم) والذي يقصد به . وإلا كانت قراءته اللزوميات عبثاً فإنه يقرأهــا وهو على غير بصيرة بها ولا يدري مــا الذي

---

(١) الرد عليه في الصفحة نمرة ٩ .

يرمي إليه مؤلفها . فقد قال أبو العلاء في مقدمته للزوميات واصفاً ما حوته من الاشعار بما فحواه : —

(كان من سوالف الاقضية أني أنشأت أبنيــة من الاوراق توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب والميط . ولا أزعم أنها كالسمط المتخذ وأرجو أن لا تحسب من السميط . فمنها مــا هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد . وبعضهــا تذكير للناسين وتنبيه للغافلين ، وتحذير من الدنيا الكبرى التي عبثت بالاول واستجيبت فيها دعوة جرول . وانما وصفت أشياء في العظة ، وأفانين على حسب ما تسمح بــه الغريزة . فان جاوزت المشترط الى سواه فإن الذي جاوزت إليه قول عري من المين) .

هذا خلاصة ما قاله إمام الشعراء عن لزومياته وان شعراً هذا وصفه لجدير بالاعجاب ياخــذ بمجامع القلوب . فهو يبحث عن حقيقة الخالق والمخلوقات، يمجد الاول وينصف الآخرين. كما يعالج النظريات الفلسفية . أقول هــذا على ذكرى مقــال قرأته على صفحات الحضارة عن الادب السوداني [١] يعرف فيـه صاحبه الشعر فيقول في سياق كلامه : (ولو عرف القارىء أني قرأت أكثر من ٥٠٠ صفحة من اللزوميات ولم تطق نفسي قراءة صفحة واحدة ممــا كتبه أبو العلاء في مقدمــة لزومياته عن الشعر وأوزانه لعذرني . قد يكون في مثــل هذا قطع مني للصلة بين

---

(١) يعني المقال السابق بالصفحة نمرة ٣٥ .

الماضي والحاضر ولكنه قطع رغبت فيه نفسي) .

لكن أسائلك يا زميلي (أديب) ونحن على مشهد من القراء هل يوجد للشعر تعريف أصدق من الذي نقلته لـك الآن عن مقدمة اللزوميات ؟؟ أليس الشعر الصادق هو الذي يمليه الشعور عن الحقائق الوجدانية فيكتبه الشاعر للعـــالم من غير أن يكسبه شيئاً من الكذب والمداهنة ، هذا هو السحر الحلال ، وهذا ما وصفه أبو العلاء وانه من الغلط الشايع أن تقول (قطع مني للصلة بين الماضي والحاضر) فإن أبا العلاء مجدد بمعنى الكلمة عرف التجديد وهو في عـــالم الخفاء وما مجددو اليوم إلا سائرون على منهاجه ومتعلقون بمبادئه . فالمعري ليس من دعاة القديم في شيء وان كان منهم . هل يتاح لك قطع الصلة بين الماضي ؟ ان الماضي هو الذي تبني أنت جديدك على أنقاضه فإن صرفت النظر عنه كنت كالبنيان القـائم على غير أساس ويغبطني جـداً أنك قرأت ٥٠٠ صفحة من اللزوميات فكيف تمكنت من ذلك وأنت شاب في مقتبل العمر كما تزعم . أكان ذلك مروراً على الصحف أم درساً وتمحيصاً؟ أظنه الأول فإن درس اللزوميات صعب فلا تكاد تقرأ بيتاً أو بيتين حتى تظل تفكر فيما يرمي اليه الشاعر طوال الساعات واني قد ملكت كتاب اللزوميات منـــذ عامين وأدمن القراءة فيه وبالرغم من ذلك لم أقرأ منه حتى الساعة خمسين صفحة . ولم أقرأ مقطوعة منه إلا صرت أفكر فيها أياماً ، في يقظتي ومنامي . لقـد يبلغ بي التفكير أن أنام وكتاب اللزوميات في يدي وأنا جالس أمام مكتبي

واني أقول ليس الغرض من اللزوميات القراءة بل الوصول الى ما يرمي اليه المعري من فلسفة الحياة .

واني أراك يا زميلي (أديب) تذكر الاستاذ (العقاد) وتعجب به ولذلك أود أن أورد لك هنا كلمة للاستاذ يعرف بها الشعر وما هي ـ عندي ـ الا ملخص ما قاله المعري عن الشعر في مقدمته وهاك العبارة لتطمئن لها وتحكم بنفسك :(وانما الشعر لب اللباب [1] وحقيقة الحقائق والجوهر الصميم من كل ماله ظاهرة من متناول الحواس والعقول وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به او تداجي بينها وبين ضميرها فالشعر كاذب ، وكل شيء في هذا الوجود كاذب ، والدنيا كلها رياء ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء) .

هذا هو كلام الاستاذ (العقاد) عن الشعر أليس هو نفس ما قاله المعري ؟. والمعري في لزومياته فيلسوف تكشفت له أسرار الحياة . نطق بحقائقها فبدت للناس غريبة إذ لا عهد لهم بالحقيقة وكل ما ألفوه في الحياة تمويه وضلالات فذلك الشاعر عاش في عصره وهو غريب عنه ولكن عظماء الرجال لا بد من أن تظهر الايام حقيقتهم وان درج عليهم الزمن . فها نحن نرى أدباء القرن العشرين ينصفون المعري ويقدرونه . ويبرزون منه صورة جميلة يحتفل بها العالم اليقظ .

---

(١) اقتضى توسعنا في الشرح ذكر بعض هذا التعريف في مقالنا الثاني غير أني أعتقد أن قول الاستاذ : (وكل شيء في هذا الوجود كاذب) . الى آخر التعريف قد ذهب به الى حدود المبالغة .

ولزوميات أبي العلاء هي المثل الأعلى للشعر العربي الذي لم يتطاول اليه حتى الساعة كائن من كان . وان المتفرس في هذه اللزوميات يرى عدداً من المذاهب الفلسفية والآراء العلمية التي يعالجها فلاسفة هذا القرن وعلماؤه . فلو قرأت مثلاً قوله :

يقولون إن الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبها النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

أرأيت كيف تكلم المعري عن تقلص الروح وتقمصها من جسم الى آخر بعد فناء الاول فاعجب كيف نطق ذلك الفيلسوف قبل مئات السنين بما يعالجه اليوم فلاسفة أوروبا وعلماؤها ويكتبون في إثباته المجلدات الضخمة . وانك سوف تعلم أن أبا العلاء كان يدين بمذهب (الشك واللاأدرية) الذي كان بعد إمام المتعلقين به أناتول فرانس شيخ أدباء العصر وقد احتفل العالم ببلوغه الثمانين منذ سنوات قلائل واني لاعد المعري اماماً له وخصوصاً حين تقرأ قوله :

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد فجاؤوا بالمحال فكدروه

فهو في هذين البيتين يشك في كل الديانات ويضلل العالم واني لارجو من القارىء أن يحتفظ بهذه الصورة وقبل أن أذهب به بعيداً أورد له صورة أخرى يرى فيها ذلك الزنديق ورعاً متديناً لا يقل عن أرباب المذاهب الدينية شيئاً وذلك حيث يقول :

إذا بلغ الانسان خمسين حجة فلا يمتهن ديناً برد سلام
ليشغل بذكر الله عن كل شاغل فذلك عند اللب خير كلام

هنا يظهر لنـا المعري في صورة الولي الورع النـاسك الصوفي الذي يؤمن بالدين ايمان العجائز . فهو يحث الناس ونفسه على الاشتغال بذكر الله عن الدنيا وما فيها من ملاهي وخيرات ويحبب للعالم النسك والزهد .

فهذا هو المعري لا تعرف له أصـلا ، فبينما تراه يدين بمذهب الشك واماماً للزنادقة ، تراه ورعاً متديناً من أولياء الله الكرام . فهو فيلسوف وكاهن ، شاعر ومنجم وانـ كان لا يبصر فانظر الى تلـك الشخصية العجيبة التي لا يقدر على معرفتها أي مخلوق ولكن لله في خلقه شؤون .

لذا أود أن يفهم القارىء أني لم أقصد من هذا المقال أن أظهر المعري للعالم ، وأبرز نفسيته وأزيل ما علق بها من شكوك وأوهام ، ولكن ما سقت هذا إلا لابين لزميلنا (أديب) أن المعري لم يكن من دعـاة القديم في شيء بـل هو امـام المجددين وها هو أحفل بالقراء من كثير منهم فاي مجدد لقي في هذا العصر ما لقيه المعري وهو في قبره وقد صار أديبـاً من الدراسة والاحتفاء ، هذا كلام مختصر عن المعري وربما عدنا مرة أخرى وعقدنا فصلا تكلمنا فيه عن المعري وحياته وفلسفته ومؤلفاتـه تكلماً وافياً ولكن لا ندري متى يكون ذلك وربما كان بعد أن أصحب المعري عشرين عامـاً بعـد هذا وأقف على حقيقته تماماً انـ كان في العمر مدد ؟

« المحجوب »

الأدب السوداني

- ٣ -

رد وايضاح الى الأديب (المحجوب) [1]

قرأت بشيء من الاستغراب مقال الأديب (المحجوب) وهاأنذا أثبت ردي عليه هنا فاقول : -

منذ ١٠ سنوات استعرت ديوان (سقط الزند) من صديق وتصادف اني مررت به على صديق آخر في حانوته فقدم لي كتاباً كان يقرأ فيه قائلاً : - هذا لزوميات أبي العلاء هل تقرأ ؟ فرنوت الى الصفحة وقرأت بيتاً واحداً من قصيدة كل ما أتذكره عنها أن رويها اي الثلاثة أحرف الأخيرة في كل بيت من نوع واحد . فقلت لصديقي : لا . سقط الزند أحسن وانصرفت . بعد مضي ثلاثة سنوات على هذه الحادثة وقع في يدي بطريق الصدفة كتاب (ذكرى أبي العلاء) للدكتور طه حسين فقرأته

---

(١) اقتضى ترتيب الكتاب أن نجعل نمرة هذا المقال ٣ بدلاً من ٦ التي هي نمرته الأصلية وقد كنا أرسلناه للحضارة (بعد المقال الخامس) فلم تنشره بل ولم تنوه عنه .

واكتفيت بأن عرفت من هو أبو العلاء . بعد مضي ثلاثة سنوات على ذلك عندما كنت راجعاً من اجازتي (في أوائل سنة ١٩٢٤) لمحت مكتبة بميدان جامع الخرطوم فدخلتها وأحسن ما وجدته فيها من الكتب (اللزوميات) فاشتريته وهو الى هذه اللحظة الكتاب الوحيد الذي أستصحبه في سفراتي لأنه يغنيني عن غيره وعندما ذكرت في مقالي الثاني عرضاً أني قرأت أكثر من ٥٠٠ صفحة من اللزوميات لم يكن يدور بخلدي أن هذا شيء غير اعتيادي يمكن أن يعترض عليه معترض . وعندما وقع نظري على مقال الأديب (المحجوب) لم يدر بخلدي أنه سيفاجئني بأسئلة بعيدة كل البعد عن موضوع مقالي المشار إليه لم أحوجه ولا الى واحد منها :

وأول ما آخذه عليه دهشته التي أبداها لعدم ثقته بما قلت من قراءتي لـ ٥٠٠ صفحة من اللزوميات وهذا موضوع تافه جداً في نظري وكان له أن يفرض أني كذبت ويوفر على نفسه وعليّ وعلى الحضارة وعلى القراء هذا التعب ومع ذلك فعذر الأديب (المحجوب) واضح عندي في هذه النقطة وهو افتراضه لنفسه ٢٠ سنة لدراسة اللزوميات مع أن الـ ٢٠ سنة كافية جداً عندي لدراسة لغة وآداب وأخلاق وعادات وآثار أمة بأسرها على هذه النسبة قرأ حضرته ٥٠ وقرأت أنا ٥٠٠ صفحة من اللزوميات مضافاً اليها كل شعر (شوقي) و (الزهاوي) و (المازني)و (ولي الدين) و (ابن الرومي) و (بشار) والثلاثة أجزاء الأول من (مهذب الأغاني) وكثيراً غير هذا في المدة من أوائل ابريل سنة ١٩٢٤ الى الآن وهذا أهم

آسباب سقوطي ثلاثة مرات في النظر عنــــد الكشف الطبي للدخول في الخدمة بالمعاش : إن قاعدتي في المطالعة هي أن أفهم مــا أقرأ (ولو فهماً إجمالياً) وأن رجوعي الكثير إلى تفسير معاني كلمات اللزوميات جعلني أؤجل مطالعتها إلى فرصة أكون فيها أكثر إلماماً بمعاني كلماتها وعلى هـذا فلن أكون متطفلا إذا نصحت للأديب (المحجوب) بالاشتغال بغـــير اللزوميات الآن . وإن كان لا بد له من شعر أبي العـــلاء فليبدأ (بسقط الزند) فهذا أفيد له على ما أعتقد .

لقد قام لنا عذر حضرته من هذه الناحية فمـــا هو عذر حضرته في تسرعه في فهم معنى ما كتبت وملء أعمدة الحضارة بأسئلة لم أحوجه ولا إلى واحد منها ؟ ليراجع القراء مقــاله السابق ولأنبهه على مشهد منهم كما شاء بأنني لم أقل أن تعريف أبي العلاء للشعر غـــير صادق حتى يسهب حضرته في إيراد البراهين على أن أبا العلاء صادق فيما قال بل قلت أن سؤال : ما هو الشعر (سيجد سائله أنواعاً من الأجوبة عليـه في بطون كتب الأدب) وما تعريف أبي العلاء للشعر إلا نوع صادق من تلك الانواع التي أشرت إليها . ولم أقل اني لم أقرأ ما كتبه أبو العلاء في المقدمـــة عن موضوع لزومياته حتى يورده حضرته محتجاً عليّ بل قصدت بما لم أقرأه من المقدمة ٣١ صفحة تكلم فيها أبو العلاء عن الشعر وأوزانه وبحوره .. الخ . ولم أقل أن أبا العلاء من دعاة القديم حتى يقول حضرتـه أنه مجـدد بمعنى الكلمة ! ولم أدع أحداً (حتى ولا نفسي) لقطع الصلة بين الماضي

والحاضر حتى يقول لي حضرته (أن الماضي هو الذي تبني أنت جديدك على أنقاضه) بل قلت : (قد يكون « أي ربما يكون » في مثل هذا «أعني الموضوع المحدود الخاص بأوزان الشعر وبحوره الذي كنت أتكلم عنه » قطعٌ مني للصلة بين الماضي والحاضر) وقد ذكرت مبررات هذا القطع في هذا الموضوع الذي يختص بكل نفس على حدة (والشعر كما قلت صورة حقيقية لنفس الشاعر) .

وأبو العلاء رجل تفصلنا عنه نحو ٩٠٠ سنة ولأن يطلع المرء على كلما يهم من شؤون الماضي لهو أمر مهم جداً في نظري. ثم إني لم أجهل تعريف الاستاذ (العقاد) للشعر وأعتقد أنه عرفه بحسب ما يعتقد هو لا مقلداً أبا العلاء فيما قال . ولم تجيء اللزوميات قبل أوانها بمئات السنين كما زعم الأديب في مقاله ، بل هي قد جاءت في أوانها تماماً (والأمور مرهونة بمواقيتها) وعندي أنه لو وجد أبو العلاء في غير ذاك العصر لكان غير أبي العلاء الذي نسمع عنه الآن ونعجب به وذلك لأن لعصر المرءوحوادثه شاناً كبيراً في تكوين شخصيته . نقرب هذا إلى الأفهام بمصطفى كمال فهو لو لم يكتنفه زمن مملوء بجسام الحوادث لما عرفناه . وأوضح من هنا أنه لو كانت بلده في حالة سلم إذ ذاك لما سمعنا باسمه لأنه من رجال الحرب .

وهكذا تخلق الحوادث الرجال ثم هم بعد ذلك يخلقونها وهكذا صار (لكل زمان دولة ورجال) وهكذا يكون أبو العلاء جاء في زمانه لاقبله ولا بعده .

ماذا بقي من مقال الأديب (المحجوب) بعد ذلك ؟ لا شيء . وأسئلته

كلها شيء ليس له لزوم ودفعاً لما خطر ببالي من أنه ظن أني أتباهى بقراءتي لـ ٥٠٠ صفحة من اللزوميات أرجو أن يعلم أنني من أشعر الناس بالعجز ومن هنا يمكن تقدير مدى بعدي عن الزهو والغرور وما نجحت في عمل (صغير طبعاً لأن أعمالنا كلها صغيرة) إلا واحتقرت نفسي وعملي سراً وجهراً وإني أعرف باي عين ينظر شيوخنا إلى أبي العلاء ولست ممن يتدلون بأنفسهم إلى مثل هذا الإعلان عن النفس .

كل ما تقدم من الكلام قد لا يستفيد منه القارىء وحسبنا أن نفتح معه الكلام في موضوع أهم من هذا وهو : (البناء على أنقاض الماضي) هذا الوهم السائد المسيطر على أدمغة الكثيرين من شيبنا وشباننا والذي هو عامل من عوامل استسلامنا وتأخرنا يكاد يتجسم لك في قول الأديب (المحجوب) : (إن الماضي هو الذي تبني أنت جديدك على أنقاضه فإن صرفت النظر عنه كنت كالبنيان القائم على غير أساس) . هذا الوهم السائد ننسفه لكم بهذا السؤال :

على أي أنقاض قام بناء خزان سنار ؟

إنه لم يقم على أنقاض ولكنه بناء جديد قام على أساس جديد ! دعوا هذا ودونكم وأنقاض مدينة سنار فابنوا لنا عليها مدينة ولو بالطوب النى . هيهات . هيهات . إن أول صف من البناء الجديد سيهوي بتلك الأنقاض إلى القاع ! هذا معقول وفي الإمكان بناء مدينة جديدة في إحدى ساحات سنار على أحسن طراز وبالاسمنت المسلح إن شئتم ! إن العلم بالماضي

شيء والبناء على أنقاضه شيء آخر وإذا كان يجب في بعض الأحيان أن نعرف درجة إحساس رجل من رجال الماضي فإنه لا يجب أن نبني على أنقاض أفكاره لأننا خلق جديد باحساس جديد في زمن جديد ويجب أن نبني بناءً جديداً أيضاً !

لا تفكروا في نقض ما أقول ولكن فكروا في العمل بما أقول أو على الأقل في الاخذ منه باكبر قدر ممكن . بين يدي قصيدة (شيخوخةشجرة) فهل سمعتم أن لأحد شعراء الماضي قصيدة بهذا العنوان وفي هذا الموضوع؟ غالباً لا . إذن فاعتبروا هذا بناء (حاضر) لم يقم على أنقاض بناء (ماض) وهو عبارة عن مجموعة أبيات يصح أن يتكون منها حي صغير (على حد تعبيري) .

هناك أمر آخر يجب أن نتكلم عنه وذلك هو الظن الذي تطرق إلى بعض النفوس فاوهمها أن من يدرس شعر أبي العلاء (مثلاً) يتحتم عليه أن يدرس كلما تعلق به من مذاهب دينية أو فلسفية وحسبنا أن نستشهد على فساد هذا الظن بالبيتين اللذين أوردهما الأديب (المحجوب) وهما :

يقولون إن الجسم ينقل روحه   إلى غيره حتى يهذبها النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة   إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

كل ما في الموضوع أن أبا العلاء سمع بمذهب تناسخ الأرواح كما سمعنا به نحن فقال :

(يقولون) إن الجسم ينقل روحه   إلى غيره حتى يهذبها النقل

وأبدى رأيه في الموضوع فقال :

فلا تقبلن مـا يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد مـا أتوك به العقـل

لعلكم ستقتنعون بعد هذا بان درس مذهب تناسخ الأرواح (مثلاً) لا يتحتم على من يدرس شعر أبي العـلاء ولكنه يتحتم على من يريـد أن يدرس أخلاق وعادات القوم الذين يدينون به . ولكن لمن يدرس شعر أبي العلاء أن يسال : كيف أن الجسم ينقل روحه إلى غيره.. الخليحصل على جواب بسيط يتلخص في أن بعض الهنود وغيرهم يعتقدون أن روح جسم الميت تنتقل إلى جسم آخر حي وسنعود إلى إيفاء هذا الموضوع حقه إن سنحت لنا الفرص بذلك .

بقي أن نتقدم إلى الأديب (المحجوب) مسلمين شاكرين له اجتهاده مهنئين على استصحابه رجلاً هو في الصف الأول بين أدباء العالم وفلاسفته راجين أن نسمع منه كلما سنحت فرصة والسلام .

المناقل ١٠/٩/١٩٢٧ (أديب)

الأدب السوداني

(٤)

الشعر في السودان [١]

يشعرني بشيء من الأسف هذا الذي أراه في مصر من جهل الناس باحوال السودان وارتسام صور مشوهة [٢] في أذهانهم عنه . ولعل أهون ما في هذا أن يظن بعضهم أن السودانيين لم يسمعوا بالشعر ! ولو أن الحقيقة غير ذلك إذ أن في السودان شعراء مبتدئون وسيكون فيه شعراء راسخون في المستقبل القريب . وهذا أمل تدل دلائله على أنه سيتحقق . ولأن يكون بين السودانيين شعراء بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى المتعارف لهو شيء كثير بالنسبة لقصر المدة التي قطعها السودان دارجاً في حياته الجديدة. أقصد بقولي شعراء ، أولئك الذين ينظمون الشعر عن شعور صحيح ، والحق أن وجود أناس في السودان يفكرون في كثير مما يفكر فيه المفكرون خارج السودان من الإصلاحات لهو أمر يدعونا إلى التفاؤل الكبير تفاؤلاً مقروناً بالشعور بوجوب حفظ الجميل لمسديه وبالرجاء في الزيادة أيضاً ...

---

(١) اقتضى ترتيب هذا الكتاب أن تكون نمرة هذا المقال ٤ بدلاً من ٣.

(٢) نشرت الحضارة هذا المقال بعددها نمرة ٥٩٥ ومعه مقال بامضاء (المعز) يدفع به سخافات وأوهاماً نشرتها السياسة الأسبوعية عن المرأة السودانية.

بديهي أن يكون أغلب الشعر السوداني أشبه بالشعر التقليـدي أو كالصدى الضئيل للشعر العربي وذلك لما بين السودان وبـلاد العرب من الشبه الكثير فالسفر (إذا استثنينا ما طرأ على المواصلات من التحسين بعد الحرب العظمى) يكون بالجمال في كثير من الأحيان . وتربـة الأراضي وحالات الجو في مختلف الفصول وطرق المعيشة تشبه ما في السودان في أغلب الوجوه والسكان تنقسم إلى قبائل والأحساب والأنساب (والأقطاب) لهم اعتبارهم الخاص فهذا وغيره من وجوه الشبه الكثيرة بين البلدين وما ينطوي تحته من المؤثرات الكثيرة المختلفة يطبع الشعر السوداني بطابع تقليد الشعر العربي . ولا يعجب من هذا من يعلم أن أهالي السودان ما هم إلا أحفاد أولئك العرب ولعامل الوراثة الأخلاقي أثر كبير في نفوسهم . هذه الحقائق المجهولة نرجو أخذها بالاعتبـــار عند قراءة قصيدة لشاعر سوداني . ولعل أقرب شاهد على صدق ما قلنـاه من أن الشعر السوداني كرجع الصوت الضئيل للشعر العربي :

هذا البـاب (باب التشطير) الذي فتحته (الحضارة) منذ اسابيع مضت ثم أقفلته بعد أن حكمت لجنة التحكيم للفائزين في التشطير. الشعر لا يحسن فيه إلزام النفس بقيد من القيود . والتشطير ومـا نحى نحوه فيه إلزام للنفس بمشاركة نفس أخرى في ميولها وإحساسها ولكن بلا طائل ! أجل . ليسأل قارؤنا أو شاعرنا نفسه عن الفائدة التي يمكن أن تحصل من تشطير شاعر يعيش الآن في السودان لقصيدة أو أبيات شاعر كان يعيش في بلاد العرب منذ ١٠٠٠ سنة ! إنه سيجد الجواب لا شيء ! وإذا كنت

قد آمنت معي أيها القـارىء (بأن الشعر صورة حقيقية لنفس الشاعر)
وهي حتماً متأثرة بما في زمانها (والمرء في نفسه يرى زمنه) فإنك ستتفق
معي على عدم فائدة التشطير وعلى أنه يجب أن لا يقيد شاعرنا نفسه بقيـد
تشطير شعر غيره وإلا فإنه سيكون كمن سكب من روحه في كاس غيره
فصار الكاس مزيجاً من روحين ! أو كمن حطم أسورة من الذهب لغـيره
وأعاد سبكها على حسابه الخاص !.

إن التزام الروي والوزن قيد ولكنه قيد كالحلية ترتاح إليـه النفس
وتقبله طائعة مختارةولعل هذا هو السر فيميل نفوسنا إلى(الشعر الغنائي)
أكثر من غيره .

قد يكون في التشطير تمرين بعض الشعراء المبتدئين على النظم غير أن
النظم شيء والشعر شيء آخر والذي يجب أن نتنبه إليه أولاً هو الشعور
بالجمال . جمال صنع الله المتجلي في جمال الطبيعة ثم وصف أثر ذلك الشعور
في نفوسنا وصفاً صادقاً بأبيات من الشعر لا أثر للتـكلف فيها . منذ بضع
أسابيـع قرأت قطعة مترجمة عن الأدب الروسي ولم أزل متأثراً إلى هـذه
اللحظة بما فيها من روح جميلة هي مظهر جمال البساطة في التعبير .

إن ما قلته عن (التشطير) أقوله عن (المعارضة) أيضاً . اللهم إلا
تحفظاً واحداً أثبته لفائدة شاعرنا المبتدىء ، وهو أننـا إذا اعتبرنا شعر
شعراء المذهب القديم في مصر قاعدة لقياسنا يمكننا أن نقول إن (المعارضة)
لا تخلو من فائدة وذلك لأن الشعراء المشار إليهمعارضوا كثيراً من قصائد
شعراء العرب فاستفادوا هم أكثر مما أفادوا قراءهم .

ولكنني مع هذا أعتقد أن بعث قصيدة أي شاعر قديم من مرقدهـــا

وإلباسها روحاً جديدة لشاعر جديد أشبه بمثل هزلي يذكر بمذهب تناسخ الأرواح عند الهنود ! حسبك على صدق هذا أنك تذكر وأنت تقرأ القصيدة (المعارضة) ذلك الشاعر الدارس وشعره . ولعل هذا من دواعي الفتور المحسوس في بعض قصائد شعراء المذهب القديم لأن الشعر الصحيح هو الذي يشعرك بقائله قبل غيره .

يغالي بعض النقاد في تقريع المقلدين (المقلدين في الأدب) وإني لا أرى رأيهم لأن بعض النفوس التي لم يكتمل تكوين شاعريتها أو التي تشعر من بعض نواحيها فتطرب للشعر أو تصوغه على سبيل التقليد ، مثل هذه النفوس يجب أن نتعهدها بالهداية والارشاد لتتربى فيها هذه الملَكة المليكة ويقوى سلطانها في النفس فيصير صاحبها شاعراً شادياً .

قلت يجب أن نتعهدها بالهداية والإرشاد لأنها تقلد الشعراء بدافع شعورها الخفي بجمال الشعر وميلها إليه ؛ ولولا وجود ذلك الميل في باطن النفس لما اندفعت إلى مثل هذا التقليد . ومع ذلك فاني لا أتردد في القول بأن الشاعر المقلد هو شاعر ناقص النفس يحاول أن يتم نقص نفسه من كمال نفس غيره كالمصور الذي يزيد صورتك تحسيناً من عندياته. وبما أن الشعر (صورة حقيقية لنفس الشاعر ومجموعة صور نفوس أدباء الأمة تتكون منها صورة حقيقية لنفسيتها) يجب على المقلدين من شعرائنا أن يسرعوا في اجتياز هذا الحاجز وسيجدون أنفسهم بعد ذلك في عالم أجمل من هذا .

قد استرسلنا في الكلام عن الشعر ونرجو أن نتحدث إلى القارىء عن موضوع كتاب (شعراء السودان) في مقال تال إن شاء الله .

المناقل في ١٩٢٧/٨/١٦ « أديب »

إلى أديب

تحت هذا العنوان نشرت الحضارة بعددها الـ ٥٩٨ المقال الآتي موجهاً إلينا من صاحب الإمضاء رداً على المقال السابق [1] وهو :

أهنيك باخلاص بلقبك (أديب) الذي منحته لنفسك بنفسك وحقاً أنت تستحق هذا اللقب الفخم بجدارة واستحقاق ، كيف لا وهذه آثارك لدينا تدل على أنك أديب بالمعنى الصحيح .

أهديتك تهنئتي باخلاص ولي الأمل أن تتقبلها كذلك باخلاص وهذا ما هو خليق بك يا (أديب) ومنذ رأيتك تنشر سلسلة مقالاتك عن (الأدب السوداني) شعرت في نفسي بميل إلى قراءتها بعناية وفي عرفي أن كل من تتوفر في كتاباته المقدرة أو المادة التي يكتسب بها ميل قرائه وعنايتهم فهو الكاتب الأديب .

وبعد فبينا كنت أتتبع مواقع قلمك في المقال الرابع إذ وقفت فيه على نكرانك لفائدة (التشطير) ولذا أريد أن أبدي لك هذه الملاحظة . تقول : (ليسأل قارؤنا أو شاعرنا نفسه عن الفائدة التي يمكن أن تحصل

---

(١) الرد عليه بصفحة نمرة ٦٣

من تشطير شاعر يعيش الآن في السودان لقصيدة أو أبيـــات شاعر كان يعيش في بلاد العرب منذ ١٠٠٠ سنة) إلى أن قلت : (وإلا فانه سيكون كمن سكب من روحه في كاس غيره فصار الكاس مزيجاً من روحين) .

ومع احترامي لرأيك هذا أقول أنه لا يجب أن يؤخذ على علاته مهما أيدته بالنظريات لأن الفائدة في التشطير موجودة في الشعر من يوم عرف الأدب التشطير ولعل هـــذه الفائدة هي التي أوحت إلى أنفس الشعراء بوجوب التشطير وإني وإن كنت أوافقك الآن سلباً على عـــدم حصول فائدة من تشطير شاعر سوداني لقصيدة أو أبيات شاعر عربي لعدم وجود شعراء بالمعنى الصحيح بيننا فموافقتي هذه لا تجعلني أبت بعـدم حصول الفائدة من التشطير مع وجود الشعراء .

صحيح قد يظهر التشطير مشوهاً للأصل متى كان المشطر نظاماً غير شاعر ولا متاثر بشعور صاحب (الأصل) ولا ملم باغراضه ومراميـــه ولكن متى كان الشاعران متناسبين ولو نوعاً في درجـة الشعور والذوق فترى تشطير أحدهم لشعر الآخر يعطيك شكلاً أوضح يستهوي النفس أكثر مما لو كان (الأصل) لوحده وهذا شيء محسوس لا يحتاج إلى الأدلة وإلا فلنتساءل لماذا لا يكون التشطير ذا فائدة طالما أن مصدره الشعور الذي يخلق للشاعر إحساساً جديداً (بالأصل) لقد قرأت كثيراً من القصائد الشعرية التي رأيت أن تشطيرها قد زادني بها شعوراً ومن هـذه القصائد قصيدتان (لابن الفارض) وناهيك به من شاعر عظيم خالد يفيض شعره وحياً وإلهاماً وأنت كما حدثتنا شاعر تعرف ما هو شعر الوحي والإلهام .

القصيدة الأولى هي الحائية التي قال في مطلعها النابلسي مشطراً :

أوميض برق بالأبيرق لاحا «يستل من غمد السحاب صفاحا»
« أم تلك أعلام الحجاز بدت لنا» أم في ربى نجد أرى مصباحا

والقصيدة الثانية هي الرائية التي قال في مطلعها النبهاني مشطراً :

زدني بفرط الحب فيك تحيرا « يا من سبى بجمال طلعته الورى »

تقرأ هاتين القصيدتين فتحس فيهما أن كلاً من الشاعرين على حد تعبيرك قد سكب من روحه يا أخي في كاس غيره فصار الكاس مزيجاً من روحين وقدمه لك من رحيق شعر العاطفة والوجدان الذي يلعب بالعقول لعب بنت العنب . ومن هنا يتضح لنا أيضاً أن الشاعر يتأثر بما في زمانه وبما في غير زمانه باعتبار أن (ابن الفارض) عاش في القرن السابع و (النابلسي) في القرن الحادي عشر للهجرة (والنبهاني) قد عاصرك في القرن العشرين وما يقال عن هذا التشطير المذكور يقال عن غيره .

هذه ملاحظتي أبديها على اعتقاد أن الحقيقة بنت البحث وتقبل ودادي .

(المبارك)
بمكوار

الأدب السوداني

- ٥ -

رد وإيضاح إلى الأديب (المبارك)[1]

حسن جداً أن أرى من بعض قراء (الحضارة) بعض العنـــاية بما أكتب والأخذ بما يروقهم منه بالقدر الممكن وبحث وتمحيص ما لا يتفق مع آرائهم ولكنني أشترط عليهم (وعلى نفسي أيضاً) شرطاً واحداً مهماً وهو أن تكون نتيجة هذا البحث والتمحيص الانحياز إلى الكفة الراجحة والعمل بما اقتضاه ميزان ذلك البحث استغلالاً لأوقاتنا وأتعابنا وحرصاً عليها من أن تضيع سدى .

عندمـــا شعرت بميل نفسي إلى بحث موضوع (الأدب السوداني) وضعت نصب عيني غرضاً أسمى هو (المثل العالي للأدب) ووجدت في نفس الوقت أن لهذا الأدب العالي طريقين أحدهما يمكن من الوصول إليه مباشرة والثاني يوصلنا إليه ولكن بعد أن يسير بنا في ملفات وتعاريج

---

(١) هذا هو المقال الذي زعمت الحضارة أنـه خارج عن موضوع الأدب السوداني واقفلت بابها دون نشر مقالاتنا بسببه وهو زعم مهدوم من أساسه .

فقلت لنفسي ألا يمكن أن نسير إلى هذا الغرض الاسمى (أي الادب العالي) مباشرة ونختصر على أنفسنا هذه الادوار التي مر بها الادب المصري بين قديم وجديد ؟ ولما كان المطلوب للوصول إلى هذا (المثل العالي للأدب) هو الصدق في التصوير والتعبير فقد وجدت الجواب حاضراً وهو يتلخص في أن السير المباشر لهذا الغرض السامي سيكون سهلاً عند بعض النفوس وصعباً على البعض الآخر ومع هذا فقد رجحت عندي فكرة السير مباشرة إلى الغرض الاسمى معتقداً أن النفوس التي ستفضل (بحكم التقليد) السير في الطريق المتعرج ستبصر عن بعد من يصل إلى القمة قبلها (ممن ساروا إلى الغرض السامي مباشرة) فتجد في سيرها حتى تتمكن من الوصول إليه قبل الميعاد المحدد . على هذه القاعدة دخلت ميدان بحث هذا الموضوع الكبير وهي على أي حال قاعدة تتعلق بمجموعة (الادب السوداني) ومستقبله لا بادب كل فرد على حدة . والآن ماذا حصل ؟ لا شيء غير أن أديباً من أدباء السودان « هو المبارك » فضل السير في ذلك الطريق المتعرج وذلك بتحبيذه « التشطير » وهو محق فيما قال لو أن نظرتنا إلى الادب السوداني من جهة فردية وبذلك المنظار العتيق الذي لا يرى به المرء إلا ما تحت قدميه وسيجد نفسه بعيداً عن الصواب إذا نظر معنا إلى الأدب بمنظار مقرب نظرة عامة شاملة يرى معها : « إن الشعر صورة حقيقية لنفس الشاعر ومجموعة صور نفوس أدباء الامة تتكون منها صورة حقيقية لنفسيتها » ويرى معها : « ان ابراز صورة صحيحة للأدب السوداني أمر لازم » .

هذه الصورة التي نشير اليها نود أن تكون دالة على السودان ومذكرة من يراها به أعني (سودانية) بكامل معناها حتى الشلوخ والوشم . فأين هذا الذي أردناه مما قصد إليه الأديب (المبارك) ؟

المثل الآتي سيدلك على الفرق بين الرأيين وهو : —

هب أن كل شعـــراء السودان شطروا كل الشعر العربي وأغفلوا تشطيرهم من التواريخ والأمضاءآت وروجوها في كل الأقطار فهل يمكن أن يهتدي أحد إلى معرفة من شطروا ذلـــك الشعر أو زمان التشطير ومكانه ؟ كلا . وعلى هذا يكون (اللي زمرناه لله) كما يقول المثل العامي .

قال حضرته بعد أن أشار إلى قصيدتي (ابن الفارض) اللتين شطرهما (النبهاني والنابلسي) : ـ (تقرأ هاتين القصيدتين فتحس فيهما أن كلا من الشاعرين قــد سكب من روحه يا أخي في كأس غيره فصار الكأس مزيجاً من روحين وقدمه لك) .

حسناً ها أنذا قد تناولت الكأس ولكن باسم من يمكن أن أحسوه ؟ دع هذا أيها القارىء ولج معنا أبواب هذه (الورشة) ولنتساعد على ابراز مثل (عملي) لا (نظري) من بين أدواتهـا وأخشابها . هب أن قصيدة (ابن الفارض) (ترابيزة[١]) كهذه باربعــة أرجل مصنوعة من خشب الصندل الزكي الرائحة (الذي لا يوجد في غير روضة ابن الفارض) وهب أن مشطر القصيدة نجار دفعه الاعجاب بهذه (الترابيزة) الى (تشطيرها)

---

(١) منضدة .

بحسب ما يقتضيه فن النجارة فصنع بين كل رجل وأخرى رجلاً (من خشب جيد أحضره هو) ثم صنع بين كل درج وآخر درجاً وهكذا فماذا يكون الحال ! حال عجيب : لا (الترابيزه) كما سبق رأيناها ولا هي لابن الفارض ولا هي لهذا النجار ولا هي على روائها وحسنها الأول ! هذا مثل (للتشطير) ونتائجه ولا نريد أن نعمل استفتاء عاماً لنعرف الكفة الراجحة في جانب من ولكن نريد ممن يؤمنون بمثل هذه النتيجة أن يتنحوا عن التشطير بعد هذا المثال المحسوس الملموس فهل أنتم موافقون ؟

عندي كلام آخر وهو لو أن ذلك النجار صنع (ترابيزة) تشبهها ولو بعض الشبه لأفـــاد واستفاد . أفاد لأنه ملأ فراغ أحد المكاتب (مثلاً) بترابيزة واستفاد هو بالتمرين على صنع ترابيزات من طراز جيد . هـذا مثال (للمعارضة) ولذا فضلناهـا على (التشطير) ولكن يحسن أن نقيد هذا التفضيل بشرط : هبوا أننا عارضنا بعض قصائد شعراء العرب فما هي النتيجة ؟ النتيجة هي أننا لو وضعنا كل معارضاتنا في كفة ميزان وأبيات الشيخ بابكر بدري الآتية (التي جعلها بعضهم موضع سخرية) في الكفة الأخرى لرجحت على معارضاتنا لأنه يقول :

جاء الخريف وصبت الأمطار والناس جمعا للزراعة ساروا
هذا بمفرده وذاك بإبنـــه والكل في الحش السريع تباروا

الى آخر الأبيات

وبصرف النظر عن درجة حرارتهـا فهي تعطيك صورة صحيحة لوجه من وجوه الحياة في السودان . هل فهمتم مرادنا ؟ نريد أن يكون

لنا كيان أدبي عظيم . نريد أن يقال عندما يقرأ شعرنا من هم في خارج السودان : أن ناحية التفكير في هذه القصيدة أو (روحها) تدل على أنها لشاعر سوداني . هذا المنظر الطبيعي الجليل الذي يصفه الشاعر موجود في السودان . هذه الحالة التي يصفها الشاعر هي حالة السودان . هذا الجمال الذي يهيم به الشاعر هو جمال نساء السودان . نبات هذه الروضة (أو هذه الغابة) التي يصفها الشاعر ينمو في السودان.وغير ما ذكر فان في جمال هذا الكون وجلاله مما يثير أجل وأسمى العواطف في نفوسنا وفي اتساع عوالم نفوسنا الباطنة ما يتدبر فيه من متدبر . (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

والخلاصة أن (الأصل) الذي أشار اليه الأديب (المبارك) يجب أن يكون لنا نحن مصنوعاً (طبق الأصل) في فاوريقاتنا (أعني أفكارنا) وبحرارة نفوسنا وعواطفنا ليسير موكب الأدب السوداني فخماً جليلاً موسوماً بوسم السودان في طريق (المثل الأعلى) .

قلنا إن نفس الشاعر متأثرة بما في زمانها واستشهدنا بالشطرة الأخيرة من بيت الاستاذ (المازني) الذي يقول فيه :

الدهر لولا الآمال مشتبه والمرء في نفسه يرى زمنه

فاعترضنا الاديب (المبارك) قائلاً إن الشاعر يتأثر بما في زمانه وبما في غير زمانه أيضاً وهذا قول لم نقصد اليه عندما طرقنا موضوعه إذ لم يكن قصدنا من التاثر ذلك الأثر السطحي الوقتي الذي يتركه الاعجاب بالشيء في نفس رائيه إنما قصدنا ذلك الأثر العميق الشامل المحيط بالنفس من كل جهاتها والذي له شان أكيد ثابت في تكوينها من مهدها إلى لحدها .

سمعنا أن رجال المتحف الملوكي البريطاني صنعوا نماذجات طبق الاصل لآثار (توت عنخ أمون) فما معنى هذا ؟ معناه أنهم أعجبوا بتلك الآثار فقلدوها . وهكذا كان حال (النبهاني) و (النابلسي) وغيرهم أعجبوا بآثار (ابن الفارض) فقلدوها وكما قلت يجب علينا أن نكون أصحاب (أصل) لا مقلدين ولعل في هذا الكفاية .

ماذا بقي بعد هذا ؟ بقي أن أرد الى الأديب (المبارك) تحيته الطيبة باحسن منها وأعتذر له أو يعتذر لي عن تحريكه عاطفة الخجل في نفسي بمدحه إياي ولست كما قال أديباً بالمعنى الصحيح ولكنني محب للأدب بالمعنى الصحيح ومكان كل أديب مني على العين والرأس كما يقولون. وما استترت خلف اسم (أديب) إلا لهذا ولأني على ثقة من أني ساكون مجهولاً عند القراء .

ولن أترك هذه الفرصة تمر بدون أن أبوح بشعور الشكر الذي اختلجت به نفسي للأديب (المبارك) الذي دفعني بمناقشته الى رسم (خط سير) للادب السوداني مستقبلاً رسماً جلياً واضحاً في هذا المقال وما على الادباء بعد هذا إلا أن يسيروا إلى الأمام في هذا الطريق الممهد والسلام .

المناقل ٥ / ٩ / ١٩٢٧ (أديب)

الأدب السوداني

- ٦ -

كتاب شعراء السودان [١]

منذ نصف شهر أخرجت هـذا الكتاب من بين كتبي ووضعته على مكتبي أرجع إليه كلما سنحت فرصة وقد جاء دور الكلام عنه الآن فماذا تنتظر أن تسمعه مني أيها القارىء بهذا الخصوص ؟ إذا قسنا قيمة ما في هذا الكتاب من الشعر على ما بلغته درجة الشعر من الرقي في غير هذا البلد لصح أن نقول إن درجـة أجود ما فيه تساوي واحداً أو اثنين فوق الصفر لاتحته وعلى هذا فشعر الكتاب في مجموعه شيء لا يكاد يذكر ولكن المولود متمتع بالحياة . ولعل أصدق شاهد نقدمه للقارىء على صدق قولنا هذا قصيدة (الصخرة) التي قرأتهـا اليوم بالعدد ٧١ من (السياسة الاسبوعية) وفيهـا من الروعة والجلال وسمو الخيال ما يشعرك بالبون الشاسع بين الشعرين وهي وغيرها مما للشعراء المجددين تبشر بانبثاق فجر

---

(١) اقتضى ترتيب هذا الكتاب أن تكون نمرة هذا المقال ٦ بدلاً من ٤.

عهد جديد للشعر في مصر غير هذا العهد الذي سيكون (شوقي) له مسك الختـــام . ذلك العهد الجديد نرجو أن نكون بين رجاله وسنكون انشاء الله .

قلت إن شعر الكتاب في مجموعه شيء لا يكاد يذكر بالقياس إلى الشعر الراقي في الوقت الحاضر أمـــا بالقياس إلى هذه السنين القليلة التي بدأ السودان فيها سيره دارجاً في حياته الجديدة فهو شيء يذكر نؤمل مـــن ورائه آمالاً تذكر لأنه يوجد بين دفتي هذا الكتـــاب ما يصح أن نسميه بالقوى الكامنة ! إن تعجب من قولي أيها القارىء أو لا تعجب فإن هـذه القوى ستظهر آثارها تدريجياً للعيان أما أنا فإني أراها من الآن ! حقاً إني ممتلىء غبطة بهذه النفوس الكبيرة التي ألحظها بين دفتي كتـــاب شعراء السودان و كيف لا تكون كبيرة وهي تدعونا للعمل لرفع شان البـــلد وتحطيم السخيف المضر من عاداتنا وتعليم بناتنا وأخواتنا وتحسين أخلاقنا والعمل لبلوغ المعالي والكمال . لي قلب لا يصل إليه من الكلام إلا مـــا يصدر من القلب وتنويهي عن هؤلاء ليس لأنهم كتبوا عن أشياء تميل إليها نفسي ميلا صادقاً بل لأنهم اتصفوا بما كتبوا عنه وأخلصوا فيما دعوا إليه. إن الحكومة مجدة في العمل لخير البلد ولكنها ككل حكومة لا يمكن أن يكون عملها لهذا الخير تاماً شاملاً إلا إذا عملنا نحن معها ووضعنـــا يدنا في يدها قياماً بواجبنا بل بما فرضه الله علينا في كل مايعود علينا بالخير ويد الله فوق أيدي الجميع .

والكتاب على علاته عبارة عن صورة نصفيــة للشعر السوداني وهي

صورة لا تخلو أعضاؤها من زوايد ونواقص ولكنها في حاجة إلى النصف المتمم لها وعلى هذا فإن جمع وطبع الجزء الثاني من كتاب شعراء السودان خدمة جليلة يجب أن نقوم بها لتكون صورة الشعر السوداني في حالتـه الحاضرة كاملة ولكون هذه الصورة كقاعدة ثابتة للقياس يرجع إليها أي مؤرخ أو أديب يريد أن يعرف في المستقبل المسافة التي قطعهـا شعراء السودان إلى الامام في سبيل تقدم الشعر السوداني ورقيه .

هب أن الكتاب (كالكتلوج) كما وصفه بعضهم فانه (كتلوج) يجب على كل منا أن يقتني نسخة منه لأنه يحتوي على ٣٧ نموذجاً لعقليـات ونفسيات ٣٧ شخصاً منا فهو على الأقل يزيد بعضنا معرفة ببعض وهـذه منة يحسن أن نقدرها بالحمد . وبصرف النظر عما لأشعارهم من قيمة فانهم جميعاً جديرون بتقديرنا واحترامنا الخاص لأنهم (التواريب) أو الأسس التي سيقوم عليها مستقبل الشعر في السودان !

ستعجب من مثل هذا القول أيها القارىء ولعل باعث هذا العجب في نفسك جدة كلامي ولكن ثق أن ما أقوله من مقتضيات الارتقاء الطبيعي للانسان وحسبي أن أضرب لك مثلا بشخصي العاجز : فقد كان المرحوم والدي ينظم شعراً ركيكاً في مدح السادة المراغنة لا يدخـل في حساب الشعر فجئت أنا أنظم شعراً لا بأس به (على ما أظن) في مواضيع منوعة ونسبة جودة شعر والدي إلى جودة شعري كنسبة ١ إلى ١٠ ولو كنت متعلماً كما يجب لكانت هذه النسبة مضروبة في ١٠ أعني كنسبة ١ إلى ١٠٠ (أستغفر الله أن أكون مبالغاً) وعلى هذا القياس المستند على ما للوراثة

والبيئة والتعليم من أثر أكيد في النفوس لنا أن نتفاءل إلى أقصى الحدود.

لا أريد أن أسترسل في بحث وشرح ما ينطوي تحت مثل هذه الأصول الطبيعية من عوامل كثيرة ولكنني أذكر أن القوانين الطبيعية الثابتة قضت بذلك وللقارىء أن يأخذ من قولي ما شاء ويرفض ما شاء .

نكتب هذا مدفوعين بدافع الإخلاص التام ولا نطالب بقراءته وفهمه إلا الذين نتوسم فيهم الخير ونرجو لهم الخير ونطلب منهم الخير ولا نطلب خيراً أكثر من العمل على رفع مستوى المدارك والأخلاق وتزيين النفوس باجل وأسمى الصفات .

أمامنا الرؤساء فلنتشبه بهم لا في وضع (الكدوسات) بين أشداقنا بل في الاخلاص . الإخلاص في القول والعمل . إنهم تعبوا في تعليمنا فمتى نتعلم ؟!

لقد خلطنا بين موضوع الكتاب وموضوع الأخلاق وعذرنا في هذا ألمنا من هذا الانحدار الذي اقترب باخلاقنا من الهاوية فهل لنا فيه عذر ؟! كلا والله . فانا لله ..

سننبئكم في عدد تال عن علي أفندي أرباب وشعره إن شاء الله .

المناقل في ١٩٢٧/٨/٢٧ (اديب)

إلى حضرة اديب

سيدي الاستاذ الأديب نائب تحرير الحضارة

سلام وشوق . أرجوك يا استاذي عملاً بحرية النشر والرأي أن تنشر هذا المقال لا زلت للأدب ودعاته نصيراً ولك مزيد الشكر .

تحت هذا العنوان وبعد هذه الكلمة نشرت الحضارة بعددها ٦٠١ الكلمة الآتية موجهة الينا من صاحب الإمضاء منتقداً بها دعوتنا إلى التعلم من الرؤساء والتشبه بهم في الاخلاص بمقالنا السابق وهي :[١]

كثيراً ما نراك تسمح لقلمك بمدح نفسك ولو عن غير قصد (!) حتى ضربت بها الامثال (!) وكنت أول الأمر حدثتنا بانك شاعر ولك ديوان وأنك سوف تتكلم عن الأدب السوداني وماهيته ودرجته فلم نسمع من ذلك شيئاً للآن (!!) بل خرجت بنا عن الموضوع وخلطت بين الكلام عن الادب السوداني و (الكدوسات) في أشداقنا والكلام عن كتاب شعراء السودان بالاقتداء والاخلاص وعلمونا ولم نتعلم (!!) واليوم جئت

(١) الرد عليه بصفحة نمرة ٧٥

تنبئنا أن أباك شاعر كان يمدح المراغنة فكأني بك تقول لنـــا أنك شاعر وابن شاعر وذو نسب في (الشاعرين) عريق (!!) (آمنـــا بالله) (!) وأنك لا تنطق في بحثك عن هوى (!) إن هو إلا قول شاعر عريق (!) فهل لك يا صاح وقد شط بك القلم بعيداً عن الموضوع (!) أن تسمعنا شيئاً من شعرك الذي لا باس به (على مـــا تظن) ولو على سبيل الاستشهاد والمقارنة بين التقليد والجديد لنطلع عليه نحن جماعة القراء فنحكم لـك أو عليك (؟!)

وحينذاك فقط نعرف ما وصل إليـــه الأدب السوداني من الرقي والتجديد(!)لا تؤاخذني يا أخي فقد شوقت كل قارىء أن يرى شعرك(!) كما شوقت كل شاعر ليحذو حذوك وينسج على منوالك حتى يأمن العثرات ويصبح من المجددين لا المقلدين يرحمك الله ؟!

« قدامه »

إلى المتمشدقين والثرثارين

إلى (قدامه)

عندما أقرأ ردود بعض الكتاب [1] على بعض وأجد فيهـــا عدم الانصاف والتهكم والاعتراضات التي لا داعي لها ولا لزوم ، أحزن كثيراً وأقول لنفسي ألا يجب وضع حد لهؤلاء المفتونـــين المغرورين الذين يتصدون لكـــل من يكتب ويحقرون من مجهودات المجتهدين ويثبطون هممهم ويسفهون آراءهم وهم من أعجز الناس في الكتابة وأبعدهم عن الفهم؟! واقتربت من دائرة التصدي لامثال هؤلاء انتصاراً للحق ولكنني فضلت سلوك طريق الكلام عن الأدب السوداني لأنه يأخذ من اصلاح هـــذه المساوىء بطرف ولحسن الحظ أو لسوئه أني صادفت واحـداً من هؤلاء المتمشدقين الثرثارين الذين لا يتعلق الواحد منهم من موضوع كتـــاب باكمله إلا بكلمة واحدة يصورها له إدراكه القاصر أنها (غلط) فيمسك فيها بيديه ورجليه ويبالغ في الصخب والتشويش .

---

(١) هذا الرد لم يرسل للحضارة لانه كتب بعد أن أقفلت بابها دون نشر مقالاتنا .

هذا الواحد الذي صادفته هو (قدامه) صاحب الكلمة التي في الورقة السابقة . نعم هو من النوع الذي وصفته وحسبك أن تعلم أيها القـارىء أنه بعد أن قرأ لنا أربع مقالات في موضوع الأدب السوداني ومـا يجب أن يكون عليه قال إنه لم يسمع من ذلك شيئاً إلى الآن !؟

نحن تكلمنا وهو سمع ولكنه يريد أن يعرفنـا بنفسه بادعائه الصمم وما كان لنا أن نسمع الصم الدعاء !

لا شيء يمكن أن نغض الطرف عنه من كل ما قـاله (قدامه) وليس هذا لأنه قصدنا بالذات في شيء من التحدي والتهكم المردود عليـه ولكن لأني قرأت كثيراً مما كتبه غيره في حق غيري بغير حق ولم يبق في قوس صبري منزع .

قال حضرته يخاطبني : ـ(كثيراً ما نراك تسمح لقلمك بمدح نفسك ولو عن غير قصد حتى ضربت بها الأمثال) !! أمدح نفسي ؟! عند من يا سي (قدامه) ؟! أعندك أنت الذي لا أعرف في أي زاويـة من زوايا الارض مقيم أم عند القراء الذين اجتهدت في أن لا يعرفني منهم أحد ؟

ارجع إلى كلمة الحضارة التي ذيلت بها مقالي الأول تعلم أنني أردت أن أكون مجهولاً عنـد كل القراء ولم (أسمح) أن يعرف اسمي حتى ولا رئيس التحرير الذي ينشر ما أكتب وليس هذا شأن من يريد أن يمـدح نفسه لو كنت ممن يفقهون ما يقرؤون! وهبكم ملأتم فضاء هـذا الكون مدحاً لشخصي فما هي الفائدة التي ستعود علي من وراء ذلك المدح؛ بل ما قيمة ذلك المدح في نظري ؟

أذكر والله أنني أكره بعض الناس كرهاً صادقاً لأنهم يمدحونني بما أستحق وما لا أستحق وأحتقر من صميم قلبي من يعمل العمل وينتظر عليه الشكر ومن ينجح في العمل وينتظر التصفيق وما نجحت في عمل إلا واحتقرت نفسي وعملي سراً وجهراً لأني أرى أن الرجل الذي لا يؤثر في العالم (أو على الأقل في المحيط الذي يعيش فيه) تاثيراً صالحاً محسوساً غير جدير بالحياة ، ولهذا أحتقر نفسي قبل غيري ولهذا أكاد أذوب خجلا أو أحتدم غضباً عندما أسمع كلمة مدح من أحد معارفي . هذا هو أنا الذي تتهمني بمدح نفسي يا سي قدامه ! ولم أحدثك باني شاعر ولي ديوان فلا تضع نفسك مني هذا الموضع وأنا ذلك الذي لم يسمع من عاشروني السنين الطوال شيئاً من شعري ولا يهمني أن تعرف أنت ولا غيرك ذلك الشعر لأني أشتغل بالأدب حباً في الأدب ولولا عالمه الرحب الفسيح لعجلت بالرحيل من هذا العالم الذي ليس فيه شيء يسر ! لم أحدثك كما قلت باني شاعر ولي ديوان ، ولكنني قلت أني ساتكلم عن موضوع الأدب السوداني لاني مضطر لبحث هذا الموضوع في مقدمة ديواني وكان يجب أن تعلم أنه ليس للسودان أدب يذكر في وقته الحاضر حتى نضيع أتعابنا وأوقاتنا معك لنريك ماهيته ودرجته وكان يجب أن تعلم أيضاً أن الادب السوداني شيء في بدء التكوين أنا أول من نطق باسمه وأراد أن يوضح باخلاص العوامل التي تنميه وتسير به سيراً حثيثاً في سبيل المثل الاعلى .

تقول لي أني (خلطت بين الكلام عن الادب السوداني «والكدوسات»

بين الاشداق والكلام عن كتاب شعراء السودان بالاقتداء والاخـــلاص وعلمونا ولم نتعـــلم) ولو كنت تفهم أن الادب هو الاخذ من كل شيء بطرف ولو كنت تفهم أن العلم والاخلاق هما الطرفـان المهمان لهـــذا الموضوع المهم لأدركت مبلغ إصابتي ولايقنت أنني إنما بدأت « بالاساس» قبل غيره . وليس كلام وضع « الكدوسات » بين الاشداق كلاماً خارجاً عن الموضوع ولكنه كلام في قلب الموضوع لانه يتصل باشأم خلق من أخلاقنا وهو « التقليد الاعمى » ولا أريد أن نكون في مصاف القرود !

وإذا لم تقم آداب الامة على أساس وطيد ثابت من الاخلاق الفاضلة والتقاليد القومية النبيلة فعلى أي أساس يمكن أن تقوم ؟! وإذا لم تسر في طريق غايته الكمال فإلى أي غاية يمكن أن تسير ؟! أإلى الهاوية التي نسير اليها نحن أم إلى أين ياسى (قدامه)؟! إن اعتذاري عن الخلط بين موضوع الكتاب وموضوع الأخلاق في ذيل مقالي السابق كان تلطفاً مني مع القراء واستدراجاً مني لهم لأهون عليهم سياغة ما سأجرعهم إياه من الحقائق المرة في مقالاتي التالية ولو كانت لك بصيرة مفتوحة لأدركت أني مـــا قلت فلنتشبه بالرؤساء في الإخلاص إلا لأنهم مثل حي موجود بيننا دائماً يذكرنا بالعظمة (المادية والمعنوية) وبوجوب العمل على بلوغها وفي كل حركة من حركاتهم وسكنـــة من سكناتهم درس يجب أن نخلص في تعلمه عنهم وشكرهم عليه فمتى متى نتعلم ؟! وما هو الاخلاص النبي تستنكف من دعوتنا الادباء اليه ؟ هو كل شيء في الحياة في نظري ولا يمكن أن تقوم سعادة في الدنيا ولا في الآخرة إلا عليه !! لا تعجب ياسي (قدامه) مما

أقول ولكن اعجب من نفسك واسخر منها لأنك لم تفهم معنى ما قلتُ ولم أنبئك بان أبي كان شاعراً لأدلك على أني شاعر وابن شاعر .. إلخ كما زعمته متهكماً! ولكنني ضربت المثل به وبشخصي إثباتاً لما لعامل الوراثة من أثر أكيد في النفوس لتؤمن أنت وأمثالك بان الأدباء الذين ضمهم كتاب شعراء السودان أناس يجب أن نحترمهم ونقدرهم بدلاً من أن نسفه آراءهُ وأشعارهم ولا يعود هذا بمدح مني لشخصي فافهم إن كنت ممن يفهمون ! ولا أنسى أن أذكر لك ولأمثالك بأني والله أشعر إلى هذه اللحظه بغضاضة ذلك التمثيل في نفسي وفاءً لما للأبوة علي من حقوق غير أني أرجع وأقول لا باس بهذا ما دام المقصود هو إيراد برهان صادق في بحث أدبي عظيم .

هذا هو الواقع ولأن يصبح كل فرد في الدنيا شاعراً وابن شاعر وذا نسب في الشاعرين عريق لهو مما يزيد في جمال الدنيا وبهجتها ولا ينقصك مثقال ذرة يا سي (قدامه) بل لو حصل هذا المحال لاسترحنا من مثـــل هذه الثرثرة والفضول التي تعكر بها علينا صفاء هذا العيش العكر أنت وأمثالك .

تقول متهكماً (آمنا بالله وأنك لا تنطق في بحثـــك عن هوى) ولا يهمني ولا يهم أحداً آمنت بالله أو لم تؤمن وأنت تعلم أن الدنيا التي تحملك لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولكن يهمني أن تعلم أنت وأمثالك أنني (كما ظننت أنت) لست ممن يتكلمون في بحثهم عن هوى ولكنني ممن يحتقرون من يتكلمون في بحثهم عن هوى فارجع إلى نفسك واقرأ وافهم ما كتبتُ وكتبتَ لتعلم مـــدى خطئك في اعتراضك عليّ بكلام أوله

كآخره يخرج الإنسان منه بلا نتيجة ويدل على أن صاحبه لم يساعده فهمه على الخروج بنتيجة مما قرأه.

والعجيب الغريب أن (قدامه) يريد أن أعرض عليه شيئاً من شعري ليحكم لي أو عليّ ! هل سمعتم أسخف من هذا ؟! شخص كتبنا وكتبنا وقرأ وقرأ وخرج من كل ما كتبناه وقرأه بنتيجة معكوسة هي شؤم في الفهم على صاحبها يطلب مني أن أضع شعري بين يديه لا ليعرف درجته بل ليعرف ما وصل اليه الأدب السوداني من الرقي والتجديد فيحكم لي أو عليّ ! لا . لا . يا سي قدامه إنك لم تصر بعد أهلاً لهذا الشرف شرف الحكم لزيد أو عليه. ولقد خصصنا حيث قلنا أننا لا نطالب بقراءة وفهم ما نكتب إلا الذين نتوسم فيهم الخير ونرجو لهم الخير ونطلب منهم الخير . ولو كنت من هذا الصنف الذي عنيناه لأخذت من قولي ما شئت ورفضت ما شئت كما طلبت من القراء بنفس المقال وفي نفس الموضوع بدلاً من هذا التهكم المزري بقدر صاحبه (إن كان له قدر) !

قد يظن (قدامة) أو غيره من الأدباء أن مقاليهذا خارج عن موضوع الأدب السوداني ولكن من يذكر منهم أن أهم أغراضي توجيه الأدباء هنا وجهة صالحة منتجة سيؤمن بان ما سطرناه في الموضوع لا خارجه فليكونوا عند حسن ظننا بهم وليسيغوا مرارة هذه الحقائق بشيء من التواضع و (ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه) .

يقول حضرته متهكماً : (يرحمك الله) وبديهي أنني في غنى عن مثل هذا الطلب من مثل هذا الفم المتمشدق الذي أعد صاحبه من أحوج الناس

إلى الرحمة. والرحمة كل الرحمة التي نرجوها له هي أن يهبه الله من الادراك بقدر ما يمكنه من فهم معنى ما يكتب غيره .

وأخيراً نقول أن أمام (قدامة) وكل نفر من (صنفه) أحد أمرين : إما أن يتدرجوا في الفهم مع الزمن مبتعدين عن التشويش على من يكتب وإما أن يتحملوا الدروس القاسية التي سيضطر إلى إلقائها عليهم كل من يتصدون للتشويش عليـه . وإنا لنرجو لهم مع ذلك التقـدم السريـع في حلبـــة الفضل والأدب ليريحوا ويستريحوا ولهم منا السلام المقرون بالعطف والتسامح .

المناقل في ١٩٢٧/٩/٢٠ « أديب »

الادب السوداني

- ٧ -

شعراء السودان

(١)

علي افندي أرباب

وعدت بذيل مقالي الرابع [١] بالكلام عن علي افندي أرباب وشعره وأخرني عن الوفاء بهـــذا الوعد الرد على الادباء (المحجوب والمبارك وقدامة) وها أنذا أعود إلى الوفاء بوعدي فاقول :

إذا سالني سائل لماذا بدأت بعلي افندي أرباب قبل غيره لكان جوابي الصادق (لا أعرف) ولذا يحسن أن أنوه بان لا أفضلية لمن أقدمـــه في الكلام عن سواه وليست لي قاعدة في ترتيب الكلام عن من ضمهم كتاب شعراء السودان ولكنني استحسنت أن أقيد نفسي بالتنويه في آخر كل مقال باسم من سأتكلم عنه في المقال الذي يليه .

وساتنحى عن نقد أشعارهم من الوجهة اللغويـة لضيق وقتي ولأني

(١) هو المقال السادس بحسب ترتيب هذا الكتاب .

لست من رجال اللغة من جهة ولاعتدادي بروح الشعر قبل متانته من الجهة الأخرى وذلك لأن المتانة شيء ميسور يمكن أن يحصل عليه الشاعر بدرس اللغة ولكن روح الشعر أو ملكته موهبة طبيعية لا يمكن أن ينعم بها إلا من وهبه الله إياها . وساستعين في الكلام عن أشخاصهم بما توحيه إلي صورهم وأشعارهم من المعاني فان أخطات في شيء فيحسن أن أنبه إليه بمذكرة موجزة لا بمقال يشغل نهرا من أنهر (الحضارة) ويشوش على الكاتب والقارىء . نبدأ كلامنا عن علي افندي أرباب فنقول :

إنه شاب وديع جداً (لدرجة المسكنة) والوداعة صفة من صفات أهل السودان (المتوحشون في نظر غيرهم) . طيب القلب وقد يبدو لأول وهلة أن التناسب بين شخصه وشعره مفقود لأن إكثاره من ذكر الصوارم وغيرها من مستلزمات الشجاعة والحرب عندنا (حتى في شعره الغزلي) لا يتفق مع جرمه ولا مع صفة الوداعة التي اتصف بها ولكن تعليل هذا بسيط عندي وهو أن قلبه النابض بطموحه إلى المعالي وبحب الخير لأهله وبلده في خانة أسمى (أعلا أو أكبر) من سن علي افندي أرباب وجرمه ومن هنا نتج الظن بفقدان التناسب بين شخصه وهذا الذي نقرأه في شعره من ذكره للمعالي مقرونة بالصوارم كأنه أحد رجال الحرب .

وقد ذكرني هذا بقريب لي التناسب بين جرمه وذكائه مفقود تماماً فهو شاب ضئيل نحيل يظنه من يراه أنه تلميذ (ابتدائي) وهو مع ذلك على وشك الحصول على شهادة الطب (دكتور) بتفوق ! ما تذكرت هذا

الشاب إلا وكان تذكري له مقروناً بشيء من الإشفاق عليه وهو يشعر بالخطر ولا يعبأ به . غير أنه لا خطر على علي افندي أرباب من أن يكون جرمه صغيراً وقلبه كبيراً فالوداعة التي اتصف بها كفيلة بايجاد التناسب المطلوب .

وسيجد القارىء (تشكيلة) طلية لأخلاقه وميوله وآماله في أقواله الآتية :

(ألا ليت كل الناس في العز واحد   وكل أبي النفس تسمو مراتبه)
(إذا أنا لم أرفع إلى المجد أمتي   فلا ساعدي يوماً علته مناكبه)
(ومالي مقسوم لكل عشيرتي   وصدري رحب لا تضيق جوانبه)
(فيا قلب هيا للعلا واقرع العصا)   (عهدتك يا قلبي تنوء بعبئهم[(١)])
(فلا أنا فعال لشيء يشينني)   (ونفسي فداء القوم حقاً أقوله)
(سنجعل لو شاء الإله لنا علا)   (حياتي وقف للعلا ومراكبه)
(وسارع إلى الخيرات وامسك حبالها   وكن حد مصلوت تسيل مضاربه)
(فهبوا بني قومي .... الخ الخ

ولعل القارىء سيشعر معنا بعد هذا بأن علي افندي أرباب وأمثاله جديرون بتقديرنا وتشجيعنا المقرون بالاحترام .

أما عن شعره فاول ما ينبهك إلى شعور علي افندي أرباب مناجاته لقلبه في قصيدته التي مطلعها :

---

(١) يعني عبء قومه .

كلانــا على هم يبيت يغالبــه وقلب سقيم قد تداعت جوانبــه

فهو إذن يشعر من الآن وسيكون غداً شاعراً بلا نزاع ولذا فإنا نرى أن نعرض هنا لشعره لنوضح ما عليه بعد أن وضحنا ما له .

أول ما نأخذه عليه ونطالبه بالتنحي عنه استهلاله بالغزل والنسيب أو التشبيب ثم دخوله على الموضوع بعد ذلك كما فعل في قصيدته التي ودع بها جناب المستر رتشردس والتي مطلعها :

رأتني فتاة الخدر عيني تقطر ودمعي من جفني يسيل ويحدر

وفي قصيدته في ذكرى المدرسة الطبية التي مطلعها :

وقفنا بدور الغانيـات الكواعب لنسكب ماء العين قبـل الركائب

إذا رجع القارىء إلى هاتين القصيدتين يرى أن السبعة الأبيات الأول من القصيدة الأولى والسبعة الأبيات الأول من القصيدة الثانية كلهاتحصيل غير حاصل أو بالصريـح كذب وثرثرة لا داعي لها ولا لزوم ا اسمعوا ! اسمعوا ! لا أوجه هذا الكلام لعلي افندي أرباب فقط بل لكل من ينظم الشعر في السودان أو يميل إليه .

فيا أدباء السودان اصدقوا وكفى .

أقول أن الـ ١٤ بيت الأول من القصيدتين كذب وثرثرة يجب التنحي عنها لأنه ليس هناك فتاة خدر رأت عينه تقطر ودمعه من جفنـه يسيل ويحدر وصفوه مكدر ولا قالت له ولا قال لها (كما زعم في قصيدته الاولى)

ثم إنه ليس هناك غانيات كواعب وقف يسكب ماء عينه بدورهن التي لا وجود لها ولم يحصل قال ولا قيل بينهن (كما زعم في قصيدته الثانية) ولكن تحلية البضاعة اقتضت ذلك ولئن كانت هذه (التحلية) محببة إلى العرب ومحللة عندهم فإن أدب هذا العصر يرفضها بتاتاً فليرغم أدباؤنا أنفسهم على التزام البساطة والصدق . هذا ولا يفوتنا إظهار سرورنا بما تضمنته القصيدتان من ميول مشكورة وآمال سيما اغتباطه بالمدرسه الطبية الذي كاد يتجسم ونلاحظ أن ذوق علي افندي أرباب الشعري لم يكتمل بعد ونرجو أن يجتهد في إكماله حتى لا يحصل تنافر بين روي أبيات القصيدة الواحدة فيخالها القارىء قصيدة من قافيتين وذلك كالابيات التاسع والعاشر والثاني عشر والثالث عشر من قصيدته التي ودع بها جناب المستر رتشردس وعلى سبيل التمثيل نثبت منها بيتين هنا قال :

ولكنني في إثر من هو راحل   أودع ذكر المكرمات وأقبر

إذا كانت الأيام هذي فعالها   وهذي أمانيها فجوزيت يا دهر

فالتنافر ظاهر بين روي البيت الاول الذي هو أصل القصيدة وروي البيت الثاني الشاذ ويحسن أن ننبه بأن هذا شيء يجيزه أدب هذا العصر الذي يجيز إطلاق الشعر من كثير من قيوده التي قيده بها القدماء ولكننا ننهى عنه فقط لانه يجرد الشعر من موسيقاه .

ولا ننسى أن ننبه إلى أن كلمة (وأقبر) ليس هذا محلها لان الموضوع موضوع وداع لا رثاء والمكرمات التي يودع ذكراها الشاعر إنما هي راحلة (في شخص المستر رتشردس المنقول) من مكان إلى آخر فقبرها لا محل

له . ولا نشك في أن هذا النقص في ذوقه الشعري مؤقت بالنسبة لحداثته في النظم .

والتكرار عيب من عيوب شعر علي افندي أرباب البارزة وهو في الغالب نتيجة قلة المادة والعناية بالالفاظ دون المعاني وهو عيب نذكر أن دعاة المذهب الجديد في مصر انتقدوا عليه شاعرها الكبير حافظ بك ابراهيم وذلك كقوله :

رأتني فتاة الخدر عيني تقطر ودمعي من عيني يسيل ويحدر

فالشطرة الاخيرة يغني عنها (عيني تقطر) وكلمة (يسيل) يغني عنها (ويحدر) وكقوله :

(فيا قلب خفف نزعة الحزن والاسى) وهو بذلك كمن يقول : (فيا قلب خفف نزعة الحزن والحزن) وأنت ترى معي أيها القارىء أن كلمة (الحزن) الاخيرة لا لزوم لها . إلى آخر ما هنالك من تكرار . والبيت الثامن عشر من قصيدته التي عنوانها (قلبي) مكسور حرف رويه وكان يجب أن يضم كباقي أبيات القصيدة وهذه غلطة لغوية تذكرنا بوجوب العمل بما ذكرته الحضارة بعددها نمرة ٥٥٤ من (أن زمن الامية والاعتماد على السليقة العربية قد ولى وانمحت آثاره بالمرة وأصبح الواجب يقضي بان يكون الكاتب الحقيقي مؤسساً تاسيساً صحيحاً يعتمد على المواد الاصلية والإضافية اللازمة له وعلى ثقافة قوية عامة ... الخ) وهذا قول يحسن بنا أن لا نغض الطرف عنه .

هذا مجمل ملاحظاتنا على علي أفنـدي أرباب وشعره وخلاصتها أنـه شاب أديب كبير النفس وديـع كريم عنده ملكة الشعر طموح إلى المعالي يحب الخير لأهله وبلده حقق الله آماله وأكثر من أمثاله .

بقي علينا أن نقترح عليه الطريقة التي يحسن أن يسير عليها في نفع أهله وبلده وهي لا تخرج عن الإخلاص في عمـله كطبيب . الدنيـا ملأى بالأطباء ولكنْ الأغلبية منهم في عـداد الجزارين فليعط حضرته الصنعـة حقها ، كما يقول العوام ، ولا يكون هذا إلا بالإخلاص التـــام للمرضى والعنايـة بهم من كل الوجوه وتعليم صنف التمرجية والمرضين الرفق الصحيح بالحيوان . الحيوان الناطق وعدم تمكينهم من المتاجرة بأغذيـة المرضى ولا من الاهمال في القيام بما عليهم من واجبات وحقوق وغير هذا كثير من وجوه النفع التي لا تدخل تحت حصر . فإن فعـــل هذا هو وزملاؤه عمروا أهم ركن إنساني من أركان الحياة في السودان .

ونرجو أن لا ينسى نصيبه من الادب حتى نرى له ديوانـاً مطبوعـاً بعد سنين والسلام .

وسيكون كلامنـــا في عدد تال من الحضارة عن الشيخ حسيب علي حسيب إن شاء الله .

المناقل في ١٥ / ٩ / ١٩٢٧ (اديب)

رأي جديد

كان رأيي أولاً أن تكون طريقة كلامي عن شعراء السودان طريقة تحليل لنفسياتهم وأشعارهم واتبعت هذه الطريقة عند كلامي عن الأديب علي افندي أرباب غير أني فكرت بعد ذلك فلم أجد فائدة من تحليل نفسية شاعر مبتدىء هو في أول مراحل العمر والانسان يتطور في كل مرحلة من مراحل أيامه تطوراً محسوساً حتى لقد يصبح في آخر أيامه وكأنه غيره في أيام صباه بما يكسبه من التجارب مادياً ومعنوياً أو بما يكسبه أو يفقده بعوامل ومؤثرات البيئة والأيام. لهذا ولأن التحليل عملية شاقة الظروف من كل الوجوه لا تساعد عليها ولأني لا أرى فائدة تذكر من استعراض الجيد من شعر الشعراء أو إطرائه أرى فقط أن أوضح بشيء من التسامح ما في شعر كل شاعر من العيوب راجياً أن تقابل توضيحاتي بشيء من التقدير والاخلاص لتعود بالفائدة التي قصدت اليها حتى لا يضيع مجهودي هباء .

واعتقادي أنه لو سار الادباء في الطريق الذي نرسمه لهم في هذا الكتاب وبقية أجزائه فسيتخذ الادب السوداني له مجرى غير مجراه الحالي ويصبح بعد سنين قلائل أدباً صحيحاً بارزاً يستحق الدرس والتقدير

لا سيا وأن مجال الطبيعة بالسودان أوسع من مجالها بمصر ويتسنى للأدباء هنا أن يكونوا أكثر اتصالاً بها من الادباء هناك .

وقد كان رأيي أيضاً أن لا أقيد نفسي بترتيب الكلام عن الشعراء إلا بذكر اسم من سأتكلم عنه في آخر كل مقال ولكنني عدلت عن هذا أيضاً واستحسنت أن أقيد نفسي بالنمرة المتسلسلة لكتاب شعراء السودان . وعلى هذا فسأتكلم عن الشيخ احمد المرضي لا عن الشيخ حسيب علي حسيب كما ذكرت سابقاً . ولا أرى فائـــدة في الكلام عن الشعراء الشيوخ لأنهم أصبحوا في المرحلة الختامية من سني حياتهم والتحسين إنما يحسن طلبه من المبتدىء لا من المنتهي .

المناقل في ١٩٢٧/٩/٣٠ « أديب »

شعراء السودان

- ٣ -

الشيخ أحمد المرضي

الصفحات من نمرة ١ ـ ٦٤ من كتاب شعراء السودان خارجة عن دائرة كلامنا لذا نبدأ من الصفحة ٦٥ فنقول :

مع أن الشيخ احمد المرضي شاعر مقل فهو مقلد أيضاً لم يات ببيت شعر واحد يصح أن نعده له ابتكاراً . فقد قال في مدح المغفور له (الزبير باشا رحمه) :

نزع الفؤاد إلى مرابع مريم ... وهمت سحائب أدمعي بالعندم
سحا كصوب المزن في تسكابه ... وجرى بسيل في خدودي مفعم
وتلوح لي بين المرابع أبرق ... (لمعت كبارق ثغرها المتبسم)
فشددت رحلي واتجهت ميمما ... جرعاءها في جنح ليل مظلم
أخذت تصوب ناقتي كسحابة ... أو أنها طارت بريش القشعم
طوراً تغور وتارة في هضبة ... حتى انخت على الجناب الاكرم

إلى آخر الابيات وعدتها أربعة عشر بيتاً منها هذه الستة الابيـات كمقدمة وثمانية أبيـات فقط في مدح سعادة الزبير باشا وهي شيء يسير بالنسبة لبطل كالزبير باشا له من المآثر والايادي الشيء الكثير فهو من هذه الجهة لم يوف الموضوع حقه .

والثلاثة الابيات الاولى من القصيدة لفت حول الـبروق وسحائب أدمعه التي سحت ممزوجة بالعندم سحاً كصوب المزن فجرى (بسيل) لا في البراري والوديان ولكن فقط في ساحـة خدوده التي لا يزيد مداهـا عن الشبر !!

والثلاثة الأبيات الثانية لفت حول الناقـة الطائرة بريش القشعم . والتي تغور تارة وترتفع أخرى حتى وصل بها إلى (كنف الزبير الاكرم). نحن لا نعرف أين كان الشيخ احمد المرضي عندمـا نظم القصيدة ولكننـا نعرف أن وطنه الخرطوم وأن الزبير باشا كان يسكن الجيلي والمسافـة بينهما ساعة بالقطار . ولا نعرف لماذا جشم الناقة متاعب هـذه الأسفار مفضلاً ركوبها على ركوب القطار وليس بين الدار والدار إلا ساعة من نهار .؟ نقول ولعله لم يركبها إلا بجناح فكره على متن طرسه أثناء تسطيره هذه القصيدة فاذا صح ظننا وهو الأصح كانت الـ ٦ الأبيـات من فضول الكلام الذي يجب أن نترفع عنه .

ثم قال حضرته في قصيدته التي مدح بها هداية بك ناظر الـكلية :

برزت بوجـه كالصبـاح المسفر وتمايلت ميـل القضيب الاخضر
وتلفتت عن جيد ظبي أغيـد ورنت بنـاظرة المهاة الجؤذر

ليـاء تفعل بالقلوب لحاظهـا فعـل السلاف البـابلي السكر
ولقد تلظت (أكبدي)وتصدعت وتوقـدت من ورد خـد أحمر
تسطو من الطرف المريض بابيض وتصول من لدنـ القوام بأسمر
كلفي بطلعتها القسيمة في الورى كلف العلا بهداية الشهم السري الخ

وهكذا جرياً وراء التقليد قد صدر الشاعر مدحته بخمسة أبيات في الغزل لا داعي لها لأنها ليست من الموضوع وحذفهـا أدل على الصدق من وجودها لأنها تحصيل غير حاصل .

ثم كان الانسب وضع كلمة (مهجتي) بدلاً من كلمة (أكبدي) لأن الشاعر إنسان كاي إنسان له كبد واحدة لا أكثر ولا أقل .

وكان يحسن أن يقول في الشطرة الثانية من البيت السادس ما يفيـد كلف هداية بالعلا لا كلف العـلا بهداية لأن النـاس هم الذين يسعون ويجاهدون في سبيل العلا لا العلا هي التي تسعى إلى الناس وتخطب ودهم.

ثم قال : ـ

إن المعارف قـد تجلت وانجلت لما طلعت لهـا (بوجه مقمر)

وكان يحسن أن يقول (بفكر نير) بدلاً من (بوجه مقمر) وهـذا يستلزمه (وضع الشيء في موضعه) لأن المعارف إنمـا يجليهـا ذو الفكر النير لا ذو الوجـه المقمر الذي يحتمل أن يكون غبياً بليـداً لا يفيـد المعارف بشيء ..

ثم قال : ـ

شرفتها فتراقصت أعطافها فكأنها سمعت غناء المزهر

ومع أن هذا البيت فارغ فهو يؤدي إلى معنى سخيف لم يحسب حسابه الشاعر لأن مصلحة المعارف إدارة حكومية لا أعطاف لها يصح أن نفرض أنها تراقصت لما شرفها الممدوح ولو ذهبنا مع الشاعر إلى حيث ذهب وفرضنا أن (المعارف) بأفنديتها ومشايخها ومكاتبها وفصولها وبكل ما حوته حتى المحابر والأقلام قد تراقصت عند تشريف (هداية) لها لكان في منظر تراقصها ما يدعونا إلى السخرية والضحك لا إلى الاجلال والاحترام وهو (ما كان يرمي إليه الشاعر طبعاً) . وها كم نتيجة أعجب من هذه وهي أن (المعارف) التي تراقصت لتشريف (هداية) لها إنما فعلت ذلك كأنها سمعت غناء المزهر ! ومعنى هذا أن تشريف الممدوح يساوي غناء المزهر تتراقص لكليهما أعطاف المعارف !!

هذه نتيجة سيعجب لها الشيخ احمد المرضي ومن يقرأها ولكنها على أي حال نتيجة تلازم من يكون همه المبنى لا المعنى ..

فيا أيها الناس ! تفكروا في كل شيء فان تفكر ساعة خير من عبادة سنة .

المناقل في ١٩٢٧/١٠/٦ « أديب »

شعراء السودان

- ٣ -

احمد افندي محمد صالح

صفحة ٦٨ – ٧٤

قال حضرته في رثاء المرحوم الشيخ محمد عمر البنا : –

يا قبر بين النؤي والأحجار ماذا تغيب من حجى وتواري
أخفيت (بدراً ساطعاً) وسترت (نجماً ثاقباً) وحجبت (شمس) نهار
الله أكبر قد هوى (الطود) الذي قد كان (منبع) حكمة ووقار
وتقوض (القصر) الذي شرفاته شيدت على همم علون كبار
يا (بحر) علم قد تلاطم موجه لكنه صفو من الأكدار
تتفجر الآراء منه غزيرة كجداول يجرين أو أنهار

ونحن لو ذهبنا مع الشاعر إلى حيث ذهب فلا يمكن أن نذهب مذهبه في ترتيبه لهذه الأوصاف وذلك لأنه بعد أن جعل المرثي بدراً ساطعاً رجع فجعله أقل قيمة من ذلك أي نجماً ثاقباً ثم رجع ثانية فجعله شمس نهار وبهذا جمع الشاعر النجم والبدر والشمس في فلك واحد وفي بيت

شعر واحد وفي شخص مرثي واحد مع أن لكل منها مداراً وليس للنجم ولا للقمر أثر يذكر مع وجود الشمس في النهار !

ثم بعد أن جعل المرثي (طودا) تنبع منه الحكمة والوقار انحدر به إلى ما هو أقل من ذلك أيضاً فجعله (قصراً) شرفاته على وشك الانهيار !

ولهذا قلت إنه لا يمكن أن نذهب مذهب الشاعر في ترتيبه لأن أوصافه جاءت متنافرة بالنسبة إلى قيمتها الحقيقية التي لو عمل حسابها لبدأ باقلها قدراً وهو النجم الثاقب ثم البدر الساطع ثم بشمس النهار جرياً وراء الترقي الطبيعي المألوف . ننتقد هذا لأنه من مستلزمات الدقة في النظر ولو أن اجتماع هذه الأوصاف في شخص حي محال فليلاحظ ذلك أدباؤنا لا سيا في قصائد المدح .

نعرج إلى قصيدته في مدح السيد عبد الرحمن المهدي فنقول : —

أول ما نعيبه عليه في هذه القصيدة تقليده لنظامي العرب حيث يقول : —

لزينب، ربع مـا يحييك محول عفى بعد أن قد كان بالغيد ياهل
وأقفر من بيض حسان نواعم ... الـخ

والقصيدة مكونة من تسعة وعشرين بيتاً منها أحد عشر بيتاً كمقدمة جعل مقدمتها (زينب) وربعها العافي المقفر فمن هي (زينب)هذه وأين تقيم وفي أي زاوية من زوايا السودان يقع ربعها العافي المقفر لنحج إليه نحن أيضاً ؟

لا لزينب ولا لربعها وجود في هذه الدنيا وإنما تحلية البضاعة أو الجري وراء التقليد هو الذي استوجب هذا الخيال السقيم الذي لا أعرف متى يقلع عنه شعراؤنا ؟!

ومع أن الشاعر حذى حذو العرب في التشبيب بزينب فإنه لم يحسن التخلص عند دخوله على الموضوع . نقول ولسنا من أهل هذا ولا هذا . لا (التشبيب ولا النسيب ولا حسن التخلص) فانها كلها مقدمات يجب أن تخلو منها أشعارنا .

ثم قال حضرته مسترسلاً في المدح : -

وأقسم ما قاسوك بالبدر ميسما   وشمس الضحى إلا ووجهك أجمل
ولا قرنوا كفيك بالبحر نائلا   ولا بالحيا إلا وجدواك أجزل

ومع أن في هذا القول مبالغة دخلت بالمادح إلى حدود الكذب فاننا لا نعرف ما حمله على هذا القسم الذي لا يشك أحد في أن التكفير عنه واجب شرعاً !

سمعت أن المولى سبحانه وتعالى أيد سيدنا موسى بآية هي أن يضم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء (قيل تشع كالشمس) ولم أسمع بعدها أن الله خلق وجهاً أجمل من الشمس والقمر إلا في هذه القصيدة فاشتقت الى رؤية هذه المعجزة التي ظهرت في آخر الزمان ثم وفقني الله الى التمتع بالنظر الى ذلك الوجه الكريم فاذا هو وجه كغيره من وجوه آبائنا أهل السودان أحالت لفحة الشمس لونه الى الزرقة فانصرفت وأنا

أقول : كفّـر يا احمد افندي عن يمينك كفّـر !

ثم قال : ـ

ألا افخر فبـالمهدي يفخر نسله   ويفتخر السودان والدين يجمـل

ولا نتعرض لهدم هذا البيت إلا من ركنه الأخلاقي فنقول أن الفخر خلة مذمومة يجب علينا نحن بصفة خاصة أن نقلع عنهـا لأننـا في الصف الاخير بـين الامم ففخرنا مع تاخرنا مغالطـة لا يحسن بالمتعلمـين منـا الاسترسال فيها . هذا من جهة ثم ان حث رجل ديني على الفخر كحث له على شيء يكرهه الله لأن الله (لا يحب من كان مختالاً فخورا) .

ثم قال داعياً للمدوح :

ولا زلت في عيش رغيد وغبطة   وقـاصدك العـافي يروح ويقبل

وكان الأبلغ أن يدعو (لقاصده العافي) بأن يغنيـه الله عن السؤال ليقل عدد العاطلين المتسولين الذين كادت تضيق بهم شوارع هـذا القطر وطرقاته بل لو دعى على (قاصده العافي) بالموت لكان خيراً من دعوته له بـأن (يروح ويقبل) راسفاً في أغلال فقره .. ! أليس كذلك يا احمـد افندي ؟

شد حيلك شويه . وعليك مني السلام .

المناقل في ١٥/١٠/١٩٢٧   « أديب »

خاتمة

(التسرع) خلق ذميم من أخلاقنا يكاد ينحصر في الشبان وقد ظهرت في المدة الأخيرة أعراضه الخطرة كالداء الذي يصعب التخلص منه. أقول كالداء وأنا لا أجد ما هو أكبر من الداء لاصف به هذا الخلق النميم الذي تفت عوامله في شمل المجتمع وتفعل فيه فعل ميكروب السل برئة المريض أو ميكروب الجرب في جلد الاجرب . وأي داء أشد بلاءاً من هذا الداء الذي صار يفرق بين الصديق وصديقه ، والاخ وأخيه ،والزوج وزوجه ، والوالد وابنه ، فيجعل من كل منهم عضواً مبتوراً لا يكاد يصلح لشيء !

لا يكاد يلتئم مجلس من مجالسنا وتبدر من أحد أفراده كلمة في أتفه المواضيع إلا وترى أن لكل من سمعها رأياً فيها مرذولاً وكلاماً غير معقول يناقض بعضه بعضاً فتحتدم المناقشة بين كل سامع وسامع وتقوم قيامة الجدل بينهم جميعاً فيركب كل منهم رأسه ويزعم أنه الفهيم الاوحد الذي لم يخلق الله لسواه عقلاً فيسيء كل مجادل الى الآخر بكلمات توغر صدر الصديق الصدوق ثم ينفرط عقد الاجتماع والقوم على أشد ما يكون من العداء لا يتنازل الواحد منهم برد تحية الوداع على رفيقه ! وسرعان ما

يتسرب كل منهم الى مجلس من مجالس المدينة ولا يكاد ينتهي من الافضاء الى المجتمعين بما حصل إلا وترى الضوضاء قد عكرت ما كان شمل المجلس من الصفاء . ينتصر كل سامع لرأي ويطعن في باقي الآراء فيسود اللغط ساعات ثم يعقبه سكون ينتهي بتفرق الجميع وفي قلب كل منهم من حب الانتقام ما فيه !

ولو كانت الحادثة تقف في حدود كل مجلس ومجلس أو منزل ومنزل لهانت ولكنها تظل وتبيت منتقلة من قرية الى قريةومن مدينة الى مدينة ومن اقليم الى آخر حتى تملأ السودان من حلفا الى الفاشر وتصير حادثة تلك الكلمة (الفارغة في الغالب) حديث الخاص والعام وهكذا يصير التسرع في الفهم سبباً في رواج كثير من الدعايات والخرافات وفي إثارة كثير من المشاغبات والمشاحنات وهكذا نملأ فراغ أوقاتنا بفراغ من الكلام غير محدود ولا حديث لنا إلا فيما يضر ولا ينفع .

ولا يتناسى الناس الكلام في أتفه حادثة من الحوادث العادية الا اذا جد من نوعها ما يشغلهم عنها وهكذا يأكل كل منا لحم أخيه حياً الى أن يقبر غير ماسوف عليه من أحد . . !

ولو تعقل السامع في الكلمة التي قيلت وكان لها هذا الدوي في أذن كل شخص تحت سماء السودان لما رآها تخرج عن أحد أمرين : ـ

إما أن تكون كلمة لا قيمة لها فيجب صرف النظر عنها . وإما أن تكون كلمة لها قيمتها فيقول سامعها لقائلها (صدقت) غير أن التسرع في

الفهم هو الذي أخرجها الى دائرة ثالثة كالتي حكيت لك عنها وهي دائرة تدور فيها دوائر الشقاق علينا جميعاً فيخسر الصديق صديقه والأخ أخاه والوالد ولده والزوج زوجه بسبب جدال لا طائل من ورائه في مواضيع كلها لا تساوي كلمة واحدة .

هذا في مجالسنا أما في مطالعاتنا و كتبنا فشيء أعجب من هذا بكثير ! صمت شامل أركان الحجرة وأنت تطالع في الكتاب الذي بيـدك وليس بجانبك من يشغلك بسؤال أو جدال فلماذا تتسرع أيضاً في فهم معنى مـا تقرأ ؟ وإذا فرضنا أنه تبادر الى ذهنك معنى غـير المعنى الذي قصده صاحب الكتاب فلماذا لا تعيد قراءة السطر الذي التبس عليك فهمه قبل أن ترفع صوتك بتغليط الكاتب ؟ وإذا سلمنا بأن فهمك لما كتبه محـال فكيف نعلل إتيانك بأفعال وأقوال لا يحتوي كتابك على شيء منها ؟

نعم هو التسرع الذي يلازمك في مجلسك ظهرت أعراضه في (المخ) وأنت في خلوتك فتوهمت معنى غير مقصود وخرجت من دارك مسرعاً تقيم الحجج مع كل من تلاقيه على أن صاحب الكتاب أخطأ لأنه قال كذا وكذا فإذا تصفحنا الكتاب وسألناك أين ما عنيت ؟ أعدت النظر معنـا الى الصفحة ثم تنبهت الى أن الخطأ كان خطأك وقلت في برود إن التركيب ركيك . ! أليس هذا بعجيب ؟!

اننا ننسى ! ولهذا فسيدهش بعض القراء أن أتخـذ الأديب (حسين منصور) بطلاً لروايتي فاسمعوا : ـ

بالعدد ٥٩٩ من الحضارة نشر الأديب (مطلع) مقالاً تحت عنوان (الادب الغربي وارتباطه بثقافة العصر الحاضر) وقبـل أن يستوثق الاديب حسين منصور مما يجب أن يدرج تحت مثل هذا العنوان من الكلام اندفع ورد على الاديب (مطلع) بمقال في غير الموضوع (باعداد الحضارة نمرة ٦٠٣ و ٦٠٦) تحت عنوان (الأدب العربي وأثره في تثقيف العالم) .

الأديب (مطلع) تكلم فيما للأدب الغربي من الأثر في ثقافـة عصرنا الحاضر وكان رد الأديب حسين منصور على هـذا الموضوع بموضوع آخر غيره وهو ما كان للأدب العربي من الأثر في غابر القرون !. ذلك موضوع قائم بذاته وهذا موضوع آخر لا يمكن أن يكون منـه رد على الموضوع السابق بأي حال ومن عرف أننا الآن نأخـذ عن الغرب كل شيء حتى تواريخ بلادنا وأجدادنا يمكنه أن يدرك مدى خطأ الأديب حسين منصور وليس غير التسرع من سبب لهذا الخطأ .. وهذا ذنب مغفور .

ثم زعم الأديب حسين منصور في رده على الأديب مطلع أن (شكسبير) اقتبس روايته (ماكبث) من رواية يمانية فلما انبرى للرد عليه جنـاب المستر هللسون مدافعاً عن شاعر بلده العظيم تنصل قائلا أن ترجمته عن (نكلسون) لم تكن حرفية وهذا أيضاً ذنب مغفور ...

بعد ذلك وقع في يدي عدد الحضارة نمرة ٦٢٧ فدهشت كثيراً حينما قرأت العبارة الآتية التي ذكرها الاديب (حسين منصور) في سياق كلامه عن اللزوميات وهي : —

(وقبل أن أبدأ في ذلك « يعني الكلام عن اللزوميات » أود أن أعرفك باللزوميات فإني لا أنسى قول بعضهم على صفحات الحضارة : « اني قرأت ٥٠٠ صفحة من اللزوميات فلم أفقه منها شيئاً ؟ » !! وهذا انما يشهد الناس على مقدار علمه وانه لم يأخذ من العتاد والذخيرة الأدبية ما يؤهله لخوض المعركة اللزومية ذات الخنادق والسراديب المضروب دونها بضباب من الدخان لا تنفذه البصائر . ولم يتذكر أن أبا العلاء إنما هو أعظم لغوي عرفته المعاجم العربية وإنه الأديب حقاً الني أخذ من كل علم بطرف وكان مقياساً صادقاً للثقافة في عصره) .

هكذا تقول علينا الاديب (حسين منصور) وهذا ذنب لا نعرف كيف نغفره له ! واحدة من اثنتين . إما أن هذا الأديب يقصدني بهذا القول وإما أنه يعني الأديب (المحجوب) ونظراً لانه لم يقل أحدنا (لم أفقه من اللزوميات شيئاً) كان خطؤه مزدوجاً .

فإذا كان المقصود بهذا الكلام هو أنا فقد أخطأ الأديب حسين في نسبته إلي لأن ما قلته هو : —

(ولكن لو عرف القارىء أني قرأت أكثر من ٥٠٠ صفحة من اللزوميات ولم تطق نفسي قراءة صفحة واحدة مما كتبه أبو العلاء في مقدمة لزومياته عن الشعر وأوزانه لعذرني[1] .. الخ) .

وإذا كان الأديب (المحجوب) هو المقصود فإن ما قاله هو : —

(وإني قد ملكت كتاب[2] اللزوميات منذ عامين وأدمن القراءة فيه

---

(١) راجع المقال الثاني (٢) راجع مقال الاديب المحجوب بالصفحة ٤١ .

وبالرغم من ذلك لم أقرأ منه حتى الساعة خمسين صفحة ولم أقرأ مقطوعة منه إلا صرت أفكر فيها أياماً .. الخ)

وعلى هذا فالاديب حسين منصور تسرع أولاً في فهم ما كتبناه وثانياً في نسبة هذا الكلام الذي لم نقله إلينا وثالثاً في تأنيبه لنا وتشهيره بنا !

ولا أخفي شعور الأسف الذي ولده في نفسي صدور هذا الأمر من أديب أعده في الصف الأول بين أدبائنا لأن فيه مدعاة لعدم الثقة بما نرويه من المسائل والأحاديث أقول وإذا كان هذا مدى خطئه في كلام قيل على مرأى ومسمع منه فكم يكون مدى خطئه في كلام تمر عليه قرون ..؟!

يقول الانجليز (ليس أشد عمى مِن مَن لا يريد أن يرى) فلنحفظ عنهم هذا المثل ولنحفظ معه أيضاً : لا تقرأ إلا إذا أردت أن تفهم . لأنه لا فائدة ترجى لمن يسترسل في المطالعة وهو مزود بأفكار تفسد عليه معنى ما يقرأ .

والتسرع في كثير من الاحيان يكون نتيجة من نتائج غرور الانسان بنفسه وأخشى كثيراً أن يكون تسرع الأديب حسين منصور من هذا النوع لأنه اعتبر نفسه (مسدياً يداً بيضاء إلى محبي الأدب العلائي في الاقطار العربية !) لا لأنه هو مؤلف « اللزوميات » بل لأنه رفع صوته بالنتف الصغيرة التي نشرها عنها في « الحضارة » وهو صوت لا يكاد يسمعه من في السودان فضلاً عن باقي الاقطار العربية ! ولو سلمنا له جدلاً بما أراد فلا يمكننا أن نقره على هذا (المن) الذي يتنافى مع روح التواضع

الذي يجب أن يتحلى به العجزة [1] أمثالنا .

ولقد نهانا الله عن مثل هـــذا بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى الآية» وإذا كان المن يبطل ثواب الصدقات والتبرعات فكيف لا يفسد علينا مثل هذه المجهودات التي نقوم بها بين كل آن وآن والتي لا يكاد أثرها الضئيل يظهر للعيان ؟!

ولا أنسى أن أذكر الأدباء ــ لهذه المناسبة ــ أن مجهوداتهم يجب أن تبذل في السودان ولاجل السودان وإلا فإنها ستضيع هباء .

وليس أضيع لجهود المرء من أن يبذله في غير دائرته لانـه يكون بذلك كمن رمى الحبة في غير تربتها ولو لم يحصل مثل ذلك لـكان انتعاش الآمال أظهر مما هو الآن ..

تذكرت بهذه المناسبة صيحات بعض أدباء مصر حول «الأدب العالمي» وطنطنتهم باسمه فتولد في نفسي شعور الاستخفاف بكل من يترك المـاء ويجري وراء السراب وذلك لأن أدبهم القومي لم ينضج بعـد ولان مثـل هذه الطنطنة ينطوي تحتها مغزى لا ينطبق على رجاحـة العقل في هـذا الظرف الحاضر .

لا ينسينا هذا موضوعنا الذي نتكلم عنه وهو التسرع في الفهم فليضع

---

(١) راجع مقالي الاول .

كل أديب منا نفسه لا في الموضع الذي تختاره هي بـــل في الموضع الذي يجب أن تكون فيه .

لا أريد أن أمس أي أديب إلا بما يرضاه غير أن تصرفات وكتـابات بعض الادباء هنا تفسد علي هذه الرغبة في كثير من الاحيـــان فيا قوم ! فكروا قبل أن تسطروا .

أما أنت أيها القارىء ففي حفظ الله . إلى اللقاء في الجزء الثـــاني إن شاء الله .

المناقل ١/١٢/١٩٢٧ «حمزة الملك طمبل»



ديوان الطبيعة

جزء أوّل

نظم

الشاعر السّوداني

حمزة الملك طمبل

الطبعة الأولى ١٩٢١

الطبعة الثانية ١٩٧٢

اهداء الديوان

إلى شعراء السودان في الحاضر والمستقبل

حمزه الملك طمبل

بحث تحليلي في الشعر ودراسته

للأديب الانجليزي الكبير ماثيو أرنولد [1]

يبشر مستقبل الشعر بشأن عظيم فهو ينبوع عذب تفيض منه أسمى الأغراض ويرمي إلى أكبر الآمال . وسيجد النـــاس في الشعر على مر الأيام وفي مستقبل الشعر أرضاً خصبة صالحة لأنفع النبت ... لا توجـد عقيدة للآن لم تزعزع ولا يوجد مذهب لم يتطرق إليه شك المتسائلين ، بل ولا يوجد نوع من التقاليد لم يبـدأ الناس بالتحول عنه . حتى الدين نفسه لقد أخذ يتحول الى الناحية المادية والى البحث وراء الحقيقة العلميـــة وأخذ يتحول الى موضوع واجب البحث والتمحيص أكثر منه عقيـدة وإيماناً، أما الشعر فالفكرة فيه هي جوهره وهي فيه كل شيء . ومـــا

---

(١) ننقل هذه الصفحة الأدبية القيمة عن العدد ١٨٤ من جريدة الوادي لتكون خير مقدمة لهذا الديوان لأن لناظمه رأياً في الشعر يتفق مع هـــذا الرأي شاكرين لحضرة الاستاذ عبد العزيز خالد نديم المحامي مترجمهـــا عن الانجليزية جهده الأدبي القيم معتذرين له عن عدم تمكننا من الحصول على الإذن منه بنشرها هنا وإن كنا نعتقد أن الذخر الأدبي ملك للجميع – الناشر

عداها فهو عالم من الجدل قد لا يكون من الأهمية بمكان ، يستمد الشعر روحه من الفكرة والفكرة هي الحقيقة ، وغير ذلك فان أثبت جزء من الدين لهو ما فيه من الشاعرية المستترة ...

يجب أن نقدر الشعر أكثر مما نقدره الآن ، ويجب أن نعطيه من الأهمية وأن نعتز به أكثر مما تعود الناس في ذلك ، يجب علينا أن نعتقد أن الشعر جدير بان يشبع من رغباتنا أكثر مما نطمع فيه الآن بل ويجب أن ننظر الى الشعر كانه قوة تؤهلنا الى أغراض ومرامي أعظم مما ألفناه منه. وسيجد الناس في قابل الأيام من الشعر مادة غزيرة ثابتة تهيىء لنا الحياة وتنير لنا سبلاً بل وتسلي عنا آلامها . وبغير الشعر ستظل علومنا ناقصة بل وكلما يحويه الدين والفلسفةمن الأفكار سيتولىالشعر فيالمستقبل عبء نشرها ... ولقد قال ورد سورث (أن الشعر روح العلم ومظهر الحياة فيه) والدين ينقصه الدليل المادي الذي أصبح العقل العصري في حاجة اليه للاقتناع بامر ما. والفلسفة ليست إلا خيالات وأحلاماً لمظاهر العلوم الحقيقية . وسياتي الزمن الذي ندهش فيه من أنا كنا نعتقد فيها يوماً من الأيام . وكلما وضح لنا مقدار ما هي عليه من الخلاء والجوف كلما زاد تعلقنا وتقديرنا للشيء الذي هو (روح العلوم ومظهر الحياة فيها) .

ونحن إذا اعتقدنا كل هذا في الشعر يجب أن يكون أملنا في مستواه كبيراً حتى يحقق لنا كل هذه الآمال . ويجب أن نعود أنفسنا على شعر راق جيد سليم ما دام الشعر جديراً بان يحقق لنا مطامع بعيدة ... يروي سانت بيف أن نابليون قال مرة عن شخص وصف أمامه بانه دجال

(دجال كما تريد ... لكن بربك خبرني أين لا يوجد التدجيل) فأجاب سانت بيف (نعم في السياسة . في ادارة الحكومات . ربما كان ذلك صحيحاً ، أما في بدائع الفكر ، في الفن ، إنها مفخرة أنه لا يمكن أن يتطرق اليها التدجيل في شيء) .. خلق التدجيل لتشويش الحقائق ولمحو الفروق بين الشيء الراقي والشيء المنحط . بين الجيد والرديء . وإنه لمن المحال بل مما لا يتصوره العقل أن يحاول هذا في الشعر إذ أن الغرض الأسمى من دراسة الشعر هو التمييز بين غثه وثمينه ... وبين الجيد منه والرديء . وما ذلك إلا لسمو أغراض الشعر وعلو مراميه .

الشعر الذي هو أصدق صورة للفكر وأجمل نقد للحياة سيجد فيه روح العصر أحسن عزاء وأطيب منفعة . وسيكون هذا العزاء وتلك المنفعة في مقدارها متناسبة مع قوة انتقادنا للحياة نفسها وسيكون انتقادنا للحياة في قوته متناسباً مع الشعر قوة وضعفاً وجودة ورداءة .

إنه الشعر الرصين الجيد الذي نحن في حاجة اليه ... وإنه وحده هو الذي يستطيع أن يهذبنا ويساعدنا ويسرنا أكثر من غيره ... وإن أعظم فائدة نجنيها من دراسة مجموعة من الشعر في عصر معين هي أن نستطيع أن نستخرج من بينها أحسن الأبيات والقطع فنعنى بها عناية خاصة ... وإننا من غير شك لواجدون في دراستنا للشعر أموراً كثيرة تعيقنا عن أن نصل فيسهولة الى ثمرة الدرس والفائدة التي نجنيها من مجموعة معينة... فيصعب علينا تميز أجملها واستخلاص آياتها ... فيجب علينا عنددراستنا للشعر أن نستبعد هذه المؤثرات من أذهاننا وأن ننهمك تواً في استخلاص

الفكرة كلما تقدمنا في دراساتنا ... نعم يجب أن يكون رائدنا في دراسة الشعر هو تلمس الشعر الجيد والرصين القوي ويجب أن تكون هذه الفكرة ملازمة لنا دائماً في دراساتنا ... ولكن يجب أن نضيف الى ذلك فكرة أخرى عند دراستنا للشعر ... فيجب علينا في بحثنا عن الشعر الجيد الرصين أن نقرن أذهاننا دائماً بمؤثرين عظيمين لهما عظيم الأهمية في تكوين الشعر ... هذين المؤثرين أحدهما تاريخي وثانيهما نفساني فان لهذين العاملين أشد التاثير في تكوين الشعر ومن السهل أن ينخدع الباحث ويتعثر في بحثه إذا لم يكن يقظاً أو لم يتنبه لهما جيداً ...

فالشاعر أو القصيدة من الشعر توجد في نفوسنا فوق تأثرنا بما تحويه من حقيقة الفكرة فيه... تؤثر علينا من ناحيتين.. الناحية التاريخية... والناحية النفسية ... فمن الناحية التاريخية فانا نجد في الشعر عصوراً مختلفة للغة وخطواتها في تدرجها وتقدمها وتقدم أفكار الناس تبعاً لمختلف عصورها.. ، كل هذا نجده من عصر الى عصر ... وإنا إذا شبهنا الشاعر في ديوانه بمسرح من مسارح الحياة لوجدنا فيه ما يزيد من قيمته في نظرنا ... ومن هنا يدخل في حكمنا على الشعر وتقديرنا له نوع من الغش تأثرنا به من هذه الناحية التاريخية ... ومن الناحية النفسية ... فان تجانسنا في الأذواق وتشابهنا في عواطفنا وخضوعنا لنفس المؤثرات مع شاعر معين ... كل هذا له عظيم الأثر في إثارة اعجابنا وزيادة تقديرنا لهذا الشاعر فنقدر شعره فوق قدره ونضعه في مرتبة فوق التي هو أهل لها ... وما ذلك إلا لأنه يلائم هوى في نفوسنا ... ومن هذه الناحية أيضاً

فإننا نغالي في تقدير قيمة الشعر الذي ندرسه ونكيل له المدح ... وهذا هو أثر الناحية الثانية التي نتأثر بها في دراستنا للشعر ... وكلا الناحيتين التاريخية والنفسية طبيعي لا غرابة فيه ...

وهذا هو السبب في أنه عند دراستنا التاريخية للشعر وفي تقدمه وتطوره تعترض لنا عبقريات كانت في الماضي منيرة ظاهرة وأصبحت الآن مظلمة غامضة أو بالعكس نعثر على شخصيات غبنها الماضي ولم تظهر عظمتها ثم هي الآن بارزة في عالم الشعر نيرة ... وهذا هو السبب في أننا نجد الجمهور يعجب بقطعة معينة أو بشاعر معين ويشيد في مدحه برواية أشعاره والترنم بها ... في حين أن هذه القطعة أو هذا الشاعر ليس على شيء من القوة أو الجودة ... والجمهور جاهل بما انطوى عليه من ضعف أو ركاكة أو نقص ... وأحسن مثل لذلك الفرنسيون الذين انكبوا حديثاً على دراسة شعرهم القديم الذي طالما أهملوه ... وقد هداهم الدرس الهادي إلى أن تنبه الكثيرون منهم إلى كبير خطئهم في تقديرهم لشعرهم الكلاسيكي في القرن السابع عشر ... ذلك الشعر الذي شادوا له أكاليل الفخار وكانوا يتيهون به غلواً حيناً من الدهر طويلاً... ونحن في دراستنا للشعر نتأثر في حكمنا على القديم منه بالمؤثر التاريخي بينما نحن في دراستنا للشعر الحديث إنما نتأثر بما نشعر به في نفوسنا أي الناحية النفسية.

نحن في دراستنا للشعر لا نجد مقياساً أو مساعداً للحكم على نوع من الشعر أو معرفة ما إذا كان الشعر ينتمي الى النوع الجيد ولا نجد معيناً في ذلك أصدق من أن يكون حاضراً في أذهاننا شيء من القطع الرائعة

لعظماء الشعراء يمكننا أن نجعلها ميزاناً نقيس عليه ذلك الشعر الذي ندرسه.

وانا بالطبع لا نتطلب من الشعر الذي ندرسه أن يكون من الجودة كالأصل الذي نقيس عليه لكننا بترديدهما سوياً وبمقارنة أحدهما الى الآخر يمكننا أن نضع كلاً في مرتبته بالنسبة لأخيه ويمكننا أن نتبين ما في كل من المزايا وما فيه من العيوب بالنسبة... وإن قطعة صغيرة من الشعر النموذجي بل بيتاً واحداً أو بيتين لكاف لأن يكون هذا الميزان الذي نقيس عليه الشعر .

وانه لمن السهل لايجاد ميزان لتقدير الشعر أن نأتي بقطعة من الشعر الراقي الجيد بل قطعة من أرقى الشعر وأروعه فتكون خصائص الشعر الجيد هي نفس الخصائص التي توفرت في هذه القطعة وتكون ميزاتها هي المميزات التي يجب توافرها في أية قطعة حتى توضع في صف الشعر الجيد أو في صف واحد معها على الأقل .

وإن هذه الخصائص لتظهر جلية في نفس أقوال الشاعر الذي قالها أكثر مما تظهر في قواعد النقد التي وضعها الدارس .

وهذه هي فضيلة طريقة الدرس النموذجي في نقد الشعر .

على أنه وإن كان ولا بد أن نحلل أو ننتقد هـــذا الشعر النموذجي لنقارن به فانه لمن الأنفع لنا أن ندرس مصدر خصائصه ومواضعها خيراً من أن نبحث عن أسباب توفر هذه الخصائص وكيفيته .

وخصائص الشعر ومميزاته نجدها في أمرين الأول مادة الشعر ومعدنه... والثاني أسلوبه وتكوينه فكلاهما المادة من ناحيـــة والأسلوب من ناحية

أخرى له ميزته وقوته وجماله وقيمته وروعته .

ويكفينا شرحاً لهذه الفكرة فيما يتعلق بالشعر ومادته وأسلوبه تلك الملاحظة الدقيقة التي قالها أرسطو من أن عظمة الشعر وتغلبه على التاريخ راجعة إلى ما يحتوي عليه الشعر من الحقائق السامية وما يمازجه من روح الرزانة والجد ...

نضيف إلى هذا أن مادة الشعر الجيد تستمد ميزاتها من احتوائها على شيء كبير من الحقيقة والجد ...

وأيضاً مما لا يجب أن ننسى ذكره أن الأسلوب في الشعر الجيد وتركيبه اللفظي إنما يزيده روعة وحلاوة تنسيق ووقع على السمع ...

وأن ميزة الشعر الجيد بما فيه من الحقيقة والجد لا يمكن أن تتجزأ عن ميزته بما فيه من جمال التنسيق وروعة الأسلوب . وكلا الميزتين توجد في الشعر الجيد بنسبة واحدة . فكما أن الشاعر في حاجة دائمة إلى أن يكون صادقاً في شعره مجداً في أفكاره فهو أيضاً في حاجة دائمة إلى أن يكون رقيقاً في أسلوبه متناسقاً في ألفاظه حلواً في وقع شعره على الآذان...

وأن هاتين الميزتين متلازمتان إلى أبعد حد حتى انك لتجد نقصاً كبيراً في قوة الشعر وجودته من حيث مادته إذا كان هناك ضعف في أسلوبه أو جزالته أو عيب في تناسق ألفاظه أو التئام مقاطعه ...

فالشاعر في تقدير الناقد لمكانته خاضع لأربعة عوامل :

ما تأثر به كلاهما من الناحية التاريخية ــ وما خضع له كلاهما من المؤثرات النفسية ــ وغزارة المادة في شعره ــ وجمال أسلوبه ، وروعته...

وعلى هذه القواعد يجب أن ندرس الشعر وننقده .

كلمة أخ في موضوع الديوان

أخي حمزه :

قد اطلعت على النسخة التي أرسلتها لي من ديوانك ولما أعلمه من أخلاقك فاني لا أريد أن أخجلك باطرائك أو اظهار اعجابي بك .

لقد افترقنا قبل سنين وكنت أعلم أنك شاعر ثم التقينا بعد سنين ولم يكن يدوربخلدي أنك ستفاجئني هذه المفاجاة اللطيفة بعرض مثل هذا الشعر البديع الذي أعده ـ رغم كثرة اطلاعي ـ جديداً في لفظه ومعناه.

شيخوخة شجرة . المعاني والأشكال . الودع . جهلوا . الامتزاج الروحي . جبل وجبل . في جوف الليل . سحابة . الألوان . عاصفة . الغروب . الحاوي . ليلة من ليالي الخريف . بين الله والطبيعة. الأصوات والصور . ضفادع . اختلال نظام العالم . ليلة ونهار . منظر . الطلاقه .

أغلبها عناوين جديدة في الشعر تدل على اتصالك بالطبيعة اتصال المفكر المتامل ولذا فانت جدير بحمل لقب شاعر الطبيعة كلنا نرى الأشجار الشائخة ـ مثلاً ـ ولم تزد ملاحظة الأغلبية منا على أنها تصلح حطباً للوقد ، أما أنت فقد استخلصت منها عبرة أي عبرة ، كذلك كان

الحال في غيرها من قصائدك . ضرب من أعمق ضروب الاحساس ذلك الذي دفعك إلى الاستفهام في قصيدة (منظر) بالأبيات الآتية :

هل الكون وهم يكاد الدجى يعفي على مـــاله من أثر
فتعكس إن أشرقت شمسه باعيننـــا ماله من صور
أم المرء إن أشرقت نفسه يرى الكون كالوهم فيها ظهر؟!

غير أنه لا يصيب في الإجابة على مثل هذه الأسئلة حتى ولا أولئك الذين صفت نفوسهم وشعروا بمثل ما شعرت به أنت .

لقد كنت شديد الوطأة على الشيخ والأفندي ولا سيا في قصيدتك (ذهب الوفاء) وإن كنت لم تقل إلا حقاً وإني أعلم أن شعورك فيها عام يتناول الطبقتين ـ المشايخ والأفندية ـ في كل بلد إسلامي كما أعلم أن مبعث هذا السخط في نفسك هو ضياع مجد الإسلام والمسلمين الأخلاقي.إن في قصائد الأصوات والصور بل والمعاني والأشكال ضرب من الفلسفة سقته الينا في أبسط الاساليب ولا يستكثر هذا على من يأخذ المعاني عن الجبال والأطلال والارواح والاشكال . إن غزلك حار لطيف ولكنه صريح نوعاً ولا بأس بهذا ما دمت نقي الصحيفة فلا أقل للشباب من أن يتغزل .

ومراثيك بليغة مؤثرة وقد يشتم منها بعض الناس عدم الرضاء عن هذا النظام الالهي الذي استوجب ظلام العدم بعد نور الحياة ولكني على

يقين من حسن يقينك وأعتقد أن الحيرة وفرط الحسرةهو الذي جمح بك الى هذا الجانب .

قلت لي أنك لا تقصد أن تنتقم لنفسك بقصيدتك (في الدويم) ممن أساءوا اليك فيها وما كنت محتاجاً إلى هذه اللاحظة لان هذا واضح في قولك :

كربة في النفس قد فرجتها   بكلام فيه للنفس شفــاء

وأنى للشاعر الاديب أن يسري عن نفسه بغير كظم غيظه أو سكب شعوره على الورق ولمن يتسنى له بث حزنه وهو يكاد يكون وحيداً بين هذه الاوساط الموبوءة .

ينخدع من يراك يا حمزة ! فقــد يظنك الرائي سعيداً ولكن من يقرأ قولك :

كل يوم قــد مضى مرحلة   مسني من قطعها أي لغوب
قصرت فسحات آجال الورى   ثم طالت بالرزايا والخطوب
كلما أعملت فكري لم أجد   أبداً من ساحة العيش هروب
أقبل الليل بجيش من كروب   أترانا نبصر الشمس تؤوب؟!

من يقرأ لك هذا وغيره مما في قصائد في جوف الليل وثورة النفس يجزم بأنك يائس يائس فكيف نوفق بين ما نراه وما نقرأه وهو صورة حقيقية لنفسيتك ؟!

حقاً إننا نجهل حتى أقرب الناس الينا ! وسنظل جاهلين كل شيء ما دمنا نجهل أنفسنا !

لا أريد أن أستقصي غير أني لا أنسى أن أذكر أن كثيراً من أبياتك يصح أن تكون أمثلة سائرة وما ننتظره منك أكثر، واقبل سلامي وتقديري لشعرك وشعورك ؟.

أخوك

الى القارىء

ـ ١ ـ

مجموعة صور لا مجموعة قصائد : بعضها لبعض ما تقع عليه العين في الارض والسموات وبعضها لما تختلج به النفس من مختلف الاحساسات . ذلك هو ديواني أيها القارىء فإن راقك منه شيء فاعلم أن هذا لشبه بين نفسي ونفسك ولو من ناحية واحدة وإلا فالذنب ليس ذنبي لان الفوارق في مثل هذا إنما تكون بين النفوس والافهام لا بين الاشكال والاجسام .

ـ ٢ ـ

أقول مجموعة صور لان وقوع نظري على أي قصيـــدة من قصائده يرسم في ذهني صورة كاملة لمكان وزمان القصيدة والغرض الذي نظمت من أجله ولذا فانا أعيش بهذا الديوان في فترة مضت ابتدأت بابتداء سنة ١٩١٦ وانتهت بانتهاء عام سنة ١٩٣٠ هذا على الرغم من أني أعيش الآن في سنة ١٩٣١ وهو ذخر تدل قلته بالنسبة للخمسة عشرة سنة على اقفار العالم ـ عالم نفسي ـ من الجمال ولكنه على قلته فيه شيء جديد في مواضيع الشعر لا في أساليبه .

- ٣ -

ديوان الطبيعة اسم ينطبق على هذا المسمى ويتمشى مع ميولي النفسية ومع ما يحتمل نظمه من الشعر في المستقبل . وكل ما فيه شعر نظم لا لينشر على الناس ولكنه ضروب من احساسات صادقة فاضت بها النفس فسجلتها على الورق تسجيلا لم أفهم الغرض منه ، وطالما ترددت في طبعه ونشره على الناس الذين لا يخصهم من أمره شيء وإن خصهم فلن يقرؤوه، وان قرؤوه فلن يفهموه [١] ، وان فهموه فلن يعنوا به ، وان عنوا به فلن يقدروه ، وان قدروه فلن يحرك نفوسهم . وان حركها فبشيء ربما لا ترضاه نفسي،ومع ذلك فاني أطبعه وأوزعه عليهم بدافع طبيعي خفي ينطوي تحت سر ارتباط الفرد بالمجموع .

- ٤ -

لقد خالفت في هذا الديوان بعض أصول اللغة مخالفة طفيفة متعمدة وذلك بالوقوف على المفعول (وغيره من الكلمات الموضوعة بين قوسين) بالسكون تمشيا مع أصل (اللهجة) والوزن وساشرح رأيي في هذا الموضوع وأشباهه في الجزء الثاني من كتاب الادب السوداني .

كان لي ديوان قبل هذا الديوان نظمته شاعراً مقلداً (بدافع شعوري الخفي بجمال الشعر) ثم حذفته جملة لخلوه من التجديد غـــير أني نشرت بعضاً من قصائده في أول هذا الديوان للذكرى فقط .

---

(١) لن يفهموه لا لقصر في المدارك ولكن زهداً منهم في الفهم منشأه التسرع والملل .

إننــــا نجهل أنفسنا ولهذا فلا أستبعد أن لا يرضى بعضنا عن بعض أوصاف صادقة لبعض الأفراد والجماعات وفي هذا كل الخطر .

نحن مرضى ولا خطر علينـــــا من تشخيص الداء ووصف الدواء للحصول على الشفاء إنمـــا الخطر كل الخطر في المكابرة والادعاء والزعم باننا أصحاء أشداء ، وإنه لمن أجدى الأمور لنا أن نعرف أنفسنا كما هي فنصلح ما فيها من عيوب وهي وإن كانت عيوباً تمت الى أسباب بعضها طبيعي وبعضهـــا طارىء استوجبه اضطراب أحوال البلد في السنين الماضية فانها كلها كالأمراض التي لا يستعصي علاجها

ومع ذلك فاني لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤاً للاصلاح الروحي بعد الهنود !

لا أقول هذا تحت تاثير ما أشعر به من العطف العظيم على أبنـــاء جنسي ولكنني أقوله كحقيقة غفلنا عنها جميعاً فخمدت نفوسنا .

وإن صفة الوداعة التي تستشعرها نفس القادم الى السودان من أول نظرة يلقيها على أبنائه لأصدق دليل على ذلك وأذكر مع الاغتباط أن سعادة الحاكم العام لاحظ ذلك وصرح به في أوائل أيام تشريفه للسودان .

فـــاذا وضح للقارىء - السوداني خصوصاً - اني عنيت شخصاً أو جماعة بأبيات فيها وصف صادق لعيب من العيوب أو نقد صارم لا مجاملة فيه فليعد ذلـك مني ضرباً في صميم اللؤم الذي اتصفت به بعض النفوس

البشرية التي طبعت على الاساءة الى من يحسن اليها لا ضرباً في زيد أو عبيد ، والواقع أن كلامي عام مبعثه شعور عام أيضاً .

- ٦ -

الطرق الى السماء كثيرة وأهمها التفكر ، والشعر ثمرة من ثماره والثقافة الحقيقية في المطالعة فلنعود أنفسنا عليها ، هذا كلام لا يصغي اليه أكثر الناس ولكنهم لو عملوا به لشكروا الله على نعمته العظمى .

أودع القارىء الآن مؤملاً أن نلتقي بين صفحات كتاب آخر وله مني التحية الخالصة والاحترام .

حمزه الملك طمبل

شوق وذكرى في سنة ١٩١٦

لقد مزق الشوق قلبي الوفيْ ... وسح لأجلك دمعي العصي
سعدت بقربك يا صاحبي ... وقد صرت مذ بت عني (شقي)
كان لا هناء بغير اتصا ... ل قلبي الصفي بقلب صفي
كأني وحالي على ما أرى ... أعيش لغيري عيش السبي
ملكت بلطفك يا صاحبي ... أعنة قلبي الشقي الأبي
وعلمتني الحب في الله بل ... وأنطقتني بالقريض الطلي
ولم تطلب النفس من بعدكم ... ولا ظفرت بالخليل الوفي

* * *

سلام على زمن قد مضى ... كحلم نعمنا به في عشي
بشوش كوجهك يا صاحبي ... نقي كنفسك سهل رضي
عذوبته لم تزل سلوتي ... وان كان فيها هلاكي البطي
قضيناه عهداً على طوله ... ونحن بعيدان عن كل غي
أ (عباس) هل أنت لا زلت لي ... وعندك مما أقاسيه شي؟
أنا لا أشك بأن الذي ... بقلبي وقلبك سيان أي :
رسول[1] من القلب للقلب ما ... لديك من الشوق حتما لدي

---

(١) المثل يقول من القلب للقلب رسول .

يا ليتهـا

ألصبر أصبح درعه (بالي) مذ أشغلت بجمالهـا بالي
فأبيت مشتاقـاً أخا وله ما عن لقا معشوقه سالي
ولقد كتمت عن الورى كلفي دفعاً لسهم القيل والقالي
يا ظبية مذ أقبلت تعطو صارت عليّ كشر رئبال
وعليّ مذ هلت مزينـة رب الجمال أقامها (والي)
فعشقتها والقلب منتصر لجمالها مستجهل الخالي
وحسبتها تمسي مناصرتي فغدت عليّ بدلهـا لالي
كم ليلة قد بت مكتئباً لنفيس عمري بالجفا قالي
يا ليتهـا في الحب صاغية لتوّجعي إصغاء عذالي

* * *

كفي عن الحرب التي نشبت قسما بورد الخد والخالي
ردي إلي العين التي فتكت سيفا بـه قطعت أوصالي
وثقي بأني قد وردت هوى ورد المنية منه أهنـالي
من أجل بخلك بالوصال لقد ساءت وحق هواك أحوالي
فتعطفي وترفقـي بفتى ساد الأنام لو انـه خالي

سافره

أيسلو فؤادي أو أكتمُ … وتجمد عيني ولا تسجمُ ؟
وسيف لحاظك أشهرتـه … فاغمــده قلبيَ المغرم
وعلمتني كيف أن الهوى … له مهج النـاس تستسلم
ونور جمالك في خاطري … وفي مهجتي نــوْر تضرم
ملكتي فؤادي ولي منطق … بـــه أعلن الحق ما أعلم

* * *

سفرت ولا خطر في السفو … ر اذا كان في الناس من يفهم
ولكننــا معشر إن نرَ … الجمـــال غلا في العروق الدم
ضعاف النفوس ضعاف العقو … ل وقد عز من بيننا الأحزم
ظلمنا الشريعة من جهلنا … وإن الشريعــة لا تظلم
ولكنها بالحجاب اتقت … فساداً لأسراتنــا يهــدم
وكم خطر إن أبجنـاه عن … جموح غرائــزنا ينجم
فصوني جمالـك عن فتية … أبرهــمُ قلبــه يــاثم
وغضي جفونك كي تسلمي … من الموبقات وكي يسلموا
ولا تخلعي عنك ثوب الحيا … ء ولا تبسمي لامرء يبسم
حياؤك عنــوان آدابك … وقــدرك من غيره يثلم
ساستقبل اليوم أمراً بدى … بقلب على ما مضى يندم
أجازوا الخلاعــة للغنيــا … ت كان الخلاعة لا تحرم !

شكوى

كم في سبيل الأماني دهري بخطب رماني
والنفس للمجد تصبو برغم مـا قـد دهاني
والطير لا تقوى بـلا ريش على الطـيران
والعمر بـين دقـائـق مـاض وبـين ثوان
والنفس في أسر الأسى والدمـع في جـريان
فـإذا علمـت بحالتي يبكيك مـا أبـكاني
والموت خير من حيـا ة اليـاس والأحزان
كم أبت من سعيي الحثيـث بصفقـة الخسران
أو كل ذي النفس الكبيـ رة مخفق بزمـاني ؟

* * *

لي قبـل هـذا أمان والآن مـالي أمـاني
كرهت حتى حيـاتي والناس ممـا أعـاني
تقلب النفس تبعـاً لتقلبـات الزمـان

انذار صديق

ألبست من بعد الوفـاء	واللطف ثوب الكبرياء ؟
فتسير فوق الأرض ثـ	ـم تظن أنك في السماء
وترى الجهـالة والنهى	وتقول أنهما سواء !؟
أكبرت حتى لا ترى	لكبيرنا منك احتفاء ؟
أم أن عهـد صداقـتي	نفس تردد في الهواء
ورأيت مني الود والـ	إخلاص فعكست الجزاء
ومن العجائب أن أرا	ك تجر ذيل الازدراء
بالأمس مدحك سرني	ويسوءني اليوم الهجاء
مـاذا سيجديني غـدا	من بعد أن أقضي العزاء؟
قـد علمتني الحـادثا	ت بأنهـا تابى البقـاء
ولئـن رزئت فمنتهى	جهدي التحسر والبكاء
وعلمت لـما أن بلو	ت الناس معنى الاصدقاء
فاحذر صديق اليوم فهـ	ـو غدا يناصبك العداء
إن الجمال هو الكمـا	ل وليس مازان الظباء
فـاذا أبيت الاستقـا	مة للقيامة لا لقـاء

جميلـــة

غريرة زانها الحياء ... تخجل حتى من الظبـــاء
تتـــوق نفسي إلى لقاهـــا ... ونفسها تشتهي اللقـــاء
فان خلا الجو والتقينـــا ... نغض أبصارنا (حياء !)
وأرسل الشّـعر وهي تلهو ... وترسل الشّـعر لـــلوراء
وإن نظراتهـــا إليّ ... تشف عن أطيب الرجاء
تلعب بالقلب كيف شاءت ... وإن يكن طبعـــه الاباء
جميلـــة نزهـــة لطرفي ... بوجههـــا روضة ومـــاء
عيونهـــا نرجس الروابي ... يلحظ من شاء في الخفاء
خدودها الورد وهي غصن ... معتدل كامل النمـــاء
سقـــاه مـــاء الجمال رب ... يزيد في الخلق ما يشاء
تمر بالدار وهي غضبى ... وإن ألح تظهر الرضاء
لقد خشينا العدى فامسى ... رسول قبلاتنا الهواء
يجرني للشقاء قلبي ... وهو سبيلي الى الهناء
ذكرت أيامها الخوالي ... وكل أمنيتي العزاء
وبين أمنية وذكرى ... تضيع أعمارنا هباء !

رثاء الشاب الأديب عثمان أفندي محمد حسين

ليالي النوى علمتني النحيبا وزاد الجوى نار وجدي لهيبا
أناديك (عثمان) والقلب مضنى وما كان عهديَ أن لا تجيبا
بلى قد رمتك عوادي الليالي وهيهات رميتها أن تخيبا
فجاء الطبيب ويا ليت شعري أينجح الطبيب اذا ما أصيبا ؟!
وعادك فاستشعر اليأس لما رأيناه يمشي الينا كئيبا
فبتنا وقد أرق الخطب عينا ودب الأسى بالقلوب الدبيبا
جثواً لديك ولما يئسنا أقمنا على كل عضو رقيبا
براك السقام فأمسيتَ مضنى وقد كنت بالأمس غصنا رطيبا
فنمت وأسلمت لله روحا طهورا الى ربه قد أنيبا
وأمسيت محتجبا عن عيون أسالت لفقدك دمعا سكيبا
فيا راحلا شيعته القلوب وكادت لنكبته أن تذوبا
لقد كنت فينا تقيا وفيا وكنت هماما وشهما أديبا
على العهد ما دمت حيا واني أرى العيش بعدك لي لن يطيبا
وان كنت قد غبت عن مقلتي فإنك عن خاطري لن تغيبا
تبين الليالي لنا عن شؤون تحير في فهمهن اللبيبا
صروف تمر بنا صامتات وقد فقن في وعظهن الخطيبا

القريب البعيد

أتنأى ورجلاك فوق الثرى كأنك فوق مدار الشموس !؟
وترسل تيار هــذا الغرام خـلال الجوارح منـا يجوس
أتلهو وتتركني والهــا باضرام نارك مثـل المجوس
تعلمني أن أصوغ الأسى دموعا وأنثرها في الطروس
تراني فتغضي ولو أنني تجرعت فيك أمر الكؤوس
أتنبو بحسنك عن عاشقيك لتطويه أيدي البلا في الرموس؟
وتدني إليك صغار النفوس وتبعد عنك كبار النفوس
عجبت لمن همنـا حبه وما همه غير حب الفلوس !
ظفرت لو اني تطفلت أو لبست لكل زمان (لبوس)
تجسمت لطفا فـما ضرنا لو انك فوق المآقي تدوس
فبادر وإلا فلا نانف الـ مسير اليك ولو بالرؤوس
وإن أنت لحت تزول النحوس ويبسم حتى الزمان العبوس!

ويح نفسي[1] من بكاء البلبل

أمل قطع حبـــل الأمل	ويك يا حظ ألا تبسم لي ؟
كلما أملت أن أحظى بما	أرتجيه خاب مني مأملي
لست أدري هل لدهري ترة	قبلي حتى رماني من عل
وبنفسي شاء دهري أو أبى	عزة ما نقلت عن رجل
فاذا الدهر ابتلاني صرفـه	بالرزايا كنت مثل الجبل
لم يزعزعني مصاب عن هوى	يلج النفس بباب المقــــل
ان لحظاً قاد مثـــلي للصبا	لهو أمضى من حديد الفيصل
ما أبالي وحبيبي منصف	طال هذا العمر أو لم يطل
وبجسمي من سهادي علة	تركت ظلي كظل المغزل
يتلوى كغصـون لدنت	حيثما مال الهوى ينتقــــل
أين مني زمن اللهو وهل	يتسنى مثـــله في المقبل
يوم صحبي يتهـــادى كلهم	كالسكارى حول ذاك المنهل
حول ماء كسماء صفوه	زجل في مشيه المستعجل
خارج من صدر نبع جائش	صدره يغلي كغلي المرجل

---

(١) نشرت هذه القصيدة بالعدد ٤٦ من النشرة الاقتصادية رقم ٨ مايو سنة ١٩٢١ بامضاء الأديب سليم أبو شقرا فكان لها من الأثر في نفس صاحب الديوان ما انطقه بالقصيدة المعارضة التالية وفي نشرنا لهذه القصيدة هنـــا نشرا لذكرى انطوت في بطون عشرة سنين .

في رياض تفلت أزهارها		في ثغور النحل شهد العسل
ونبات فوق هاتيك الربى		مائج تحت الصبا كالمخمل
وغياض غضة صفصافها		يتباكى لأنــين الجدول
وعليها بلبــل مستعبر		ويـح نفسي من بكاء البلبل
إذ تلاقى الدهر في أمثاله		بخمور رققت كالغزل
وزهور الحقل تفتر لنــا		عن ثغور خلقت للقبـل
ذاك دهر أين مني مثله		يا للذات الزمان الأول

سليم ابو شقرا

ويح قلبي من سهام المقل

قطع الدهر حبال الأمل ورمى القلب بخطب جلل
ألم في النفس لا أحمله وعذابي ليس بالمحتمل
ولظى بالقلب لولا أدمعي صار جسمي منه كالمشتعل
ساقني الطرف الى هذا الردى ويح قلبي من سهام المقل

* * *

يا أبا شقرا كلانا غارق ليس يخشى غارق من بلل
لا تمن النفس بالماضي سدى ما إلى عيش الصبا من سبل
هجت وجداً في الحشا مستتراً ليس جرح القلب بالمندمل
يا لظبي مذ ناى وحشته صيرتني كحليف العلل
لست أنسى يوم كنا صبية نرشف العيش كرشف العسل
هو بالغزل تلهى وأنا فيه مفتون بصوغ الغزل
كلما قبلته من شغفي ردني في رقة من خجل
وهو من عيش الصبا في نشوة أثرها في خاطري لم يزل
يتهادى تائهاً متشحاً برواء الحسن لا بالحُلل
في رياض غضةٍ أغصانُها راقصات لغناء البلبل
باسمات للورى أزهارها ضاحكات لبكاء الجدول
لا تسل كيف انقضت لذتنا عبس الحظ فهل يبسم لي ؟

صفو عيش عاجلاً ودعته ... ليتني ودعت باقي الأجل

كيف لا أبكي وحي منصف ... ساعةَ الوصل اذا لم تطل

ساعة في العمر لا أذكرها ... مذ مضت الا بقلب وجل

أفلت أنجمهـــا مسرعة ... في ظـــلام حـالك منسدل

كنت أروى من خضم زاخر ... ليس يرويني اجتذاء الوشل

مرت الذكرى ببالي فجرت ... أدمعي من مقلتي كالجدول

هـذه الدنيا بنـا أمثـلة ... ضربتها بيننـا كالمثـل

وبما زالت به دولتنا ... زائل ما في الورى من دول

ذلك الشدو الذي تسمعه ... كان ترديداً لِندب الطلل

كنت لولا حرقة في مهجتي ... في غنى عن مثل هذا الجدل

(ذاك دهر أين مني مثله ... يا للذات الزمان الأول)

في الشوق

هو البعد آلامه تقتل ... محباً به الصبر لا يجملُ
وإني أرى البعد عن وجهكم ... ردى من حبائله أجفل
ذهلت بموقف توديعكم ... وموقف توديعكم يذهل
وكم ليـلة بتهـا ساهداً ... كمن بـين أحشائه مرجـل
أحن إلى منهل من خصال ... وورد من الشم لا يذبل
وأصبو إلى عذب ألفاظـكم ... كأنك في مسمعي البلبـل
يهاجني الدهر لكنني ... إزاء صوارمـه أعزل
لقد بعدت شقة بيننا ... ولو أن (حلفاً) لكم منزل
كأن دارك رأس الرجا ... ء وداري في بعدها الموصل
وقد كدست حولي المشكلا ... ت وبعدك مشكلها المعضل
وصرت وحالي تسر العدى ... وقد ناء بالنفس ما تحمل
فرفقاً بمن قد نأى مرغماً ... وأدمعـه حسرة تهطـل
بقلب يميـل لورد الهوى ... ونفس لورد العلا أميل !
وأدبر مـا سر من حظـه ... فهـل بعـد إدباره يقبل
هو الحب أحسبه سائغاً ... ولكنما طعمه الحنظل

فصب تجرع من صابه ... متى من حلاوته ينهل
كلانا لهذا النوى جازع ... فماذا إزاء النوى نفعل
وكل المحبين من قبلنا ... بزلزال آلامه زلزلوا
ومن لم يكن في الهوى صابراً ... فترك الغرام له أفضل
اذا كنت قربان هذا الهوى ... فما أنا قربانه الأول
فلا ضيع الله أجر المحب ... وخيب آمال من يعذل

ذكرى

يا قلب قد أشقاك ضير   مذ غـاب بسام الثغير

لم تنس ماضي العيش في القصر المطـــل على النهير

أيام كانت لا تميزنا زهيرة عـــن زهير

أيام كنا لا نكف عن التهـــكم من شقير

نقضي على الرمل المذهب يومنـــا جرياً (وسير)

كنـا نرف على الميـــاه كأننـا أسراب طير

ويسوؤنا من غاب بـل   ويسرنـا أن جاء غير

نلهـــو ونلعب لا نفرق بين أحمـــد أو عزير

زمـــن مضى لم ندر فيه حساب منكر أو نكير

مذ راح عنا قـــد تبـــدل صفو أيامي بضير

ولئـن ذكرت زمـانـه   فكمن تـذكر كل خير

عَبرة وعِبرة

جف ورد الجميل في اللحد ... بعد إيناعه على الخـــدّ

وغمت بالحيا الغصون ولم ... ينضر الدمـــع ذابل القد

ليس كالموت فارق أبـدأ ... بين هزل الحيـــاة والجد

هان لو كان يفتدى بطل ... بروح من دونه أو النقد

عدل الموت بيننـــا فبه ... يتساوى المليك بالعبــد

كل هذا الورى وحقكمُ ... رهن جزر الزمان والمد

إنما الكون كالرياض ومـا ... فيـــه من عالمين كالورد

كلما أينعت أزاهـــره ... قطفتها المنون عن عمد

ومن الورد مـــا تصوحه ... عاجلاً كالوليد في المهـد

سترت عن حجـاك حكمته ... كاستتار الضرام في الزند

كل شيء بـــه له سبب ... وربمـا المـاء بالفتى يودي

والأمـاني كمورد عــذب ... كيفما كان ورده يصــدي

بـــل ويارب وارد شره ... ذاق كأس الحمام في الورد

هي دنيـاك أنت تعشقهـا ... وهـي مجبـولة على الصد

ليس يجدي بلوغ غايتهـا ... إنمـا الزهد والتقى يجدي

لم يدم كوكب النحوس بها ... لا ولا دام طالـع السعد

ألفتها النفوس مرغمة موطناً للشقاء والقد
هي كالآل إن صفت لفتى أو بروق ومض عن بعد
فان افتر ثغره عبست ونفته لساحة الوجد
بجفون يكاد يفقدها بين ذرف الدموع والسهد
تلك أحوالها وظاهرها ما خلا أمره من النقد
لا تسل عندها الصفاء فكم سؤلنا قابلته بالرد
هو كاس الحياة نجرعه مزج الصاب فيه بالشهد
كم جميل تسبيك وجنته صار في الرمس شمها يردي
كم فتى معجب بصحته سار قبل العليل للحد
سار طوعاً لأمر خالقه لا قضاءً بدائه المعدي
وشؤون الأنام مذ خلقوا بين أخذ القضاء والرد
فارفقي يا خطوب واتئدي رحمة بالورى أو اشتدي
حسبنا والمنون تصرعنا أن هذا الوجود للفقد

ذكرتني[1]

حفظ المودة للخليـلْ في هذه الدنيـا قليلْ
فاعجب لقلبي حيث با ت لشخص مجهول يميل
واذا رنوت لرسمـــه في الطرس عبراتي تسيل
شوقـاً اليه وليت شعـ ـرى هل إلى اللقيا سبيل؟
في الأمر سر قد طوته النفس عن عقلي الكليل
مـا ذاك إلا أنهـا عرفته من عهد طويل
أيام كنت وكان ذ را في السموات نزيل

* * *

يا قلب قــد عذبتني فاجنح الى الصبر الجميل
ذكرتني ماضي الهوى والعيش في ظل النخيل
مـا بين لطف مؤدب انسل من فرع أصيل
* ومتيم مترنم بالشعر من شوق وبيل

---

(١) كان الشاعر يقلب صفحات كتاب فوقع نظره على صورة أديب ظن لأول وهلة أنه يعرفه لما نبهت الصورة كل حواسه فتأمله فاذا هو شخص غير معروف له فقرأ ما كتبه صاحب الصورة فاذا هو نسخة طبق الأصل لما خطه يراع الشاعر نفسه فهل للنفوس معرفة سابقة ببعضها في غير هذا العالم .

يهتاجنا الخصر النحيل ويذيبنا الطرف الكحيل
وسهيل يرمقنـا بلحظ كالحسود أو الدخيل
والنهر كالوسنان يحلم بالورى جيـلا فجيـل
يتسلل المـاء الفرا ت مفضضاً كالسلسبيل
ويلي على ذاك الزمـا ن وهل سيجديني العويل؟
اني لأرضى لو وجد ت من المسرة بالقليـل
ما همني في هذه الدنيـا سوى الوجه الجميل
ويمر[1] أحلى الناس إن هو صعر الخد الأسيل

(١) يمر من المرارة .

رثـــاء

العمدة نجار بك محمد داود

أتستقبل الدهر مستبشراً ومن شيمة الدهر أن يغدرا ؟
فــإن أقبلت غر أيامــه تراه على الفور قد أدبرا !
يسوق حوادثه جمــة لمن شاء في الناس أن يبصرا
فإن سالموه تصدى لهم وإن نظموا شملهم بعثرا

* * *

رمى نصب أعيننا فارساً يفوق بجرأتــه القسورا
فكم رفع الصوت مستنجداً لقومي وللحق[1] مستنصرا
ومن هز للحق أقلامــه كمن هز من أجله الأسمرا
فقدنـــا بفقدانه سيدا لخدمة أوطانــــه شمرا
وإنّا لنشعر من فقده بكسر من الصعب أن يجبرا
فما همة الحر أو نفسه تباع على الأرض أو تشترى
فيا لهف نفسي على مجلس على الكره من شخصه أقفرا
وما هو في الظعن كي نبري نعـــد لأوبته الأشهرا

(١) من خدماته الجليلة أنه طالب كثيراً بتعويض أهالي جنوب خزان أسوان .

فيا ليت من جل مقداره   تكون منيته كالكرى
ولو كان للمرء أن يثأرا   من الموت ما عز أن نثأرا
ويدهشني أنه يمهل الـ   شقي ويستعجل الخيرا

* * *

ألا فاغنموا الخير إن الفتى   سيلقى المنون وإن عمرا
ومهما تسامى بألقابـــه   اذا لم يكن عاملا يزدرى
فما لقب المرء أو ماله   ليرفعه في قلوب الورى
ولكن جلائل أعمالـــه   تسامى به لرفيع الذرى
وكم راح غر بألقابه   ضميرا بجوف الثرى مضمرا

* * *

بإنجاب مثلك في قرية   تتيه على الحاضرات القرى
فنم في هدوء وفي غبطة   فجهدك في حينه أثمرا
لقد عاقني الحزن عن أن أجيد فيك القصائد أو أنثرا
فعذراً لمثلي إذا قصرا   فمثلي جدير بأن يعذرا

* * *

هو الحزن فرض على مثله   ولكن من الدين أن نصبرا
وماذا عسى المرء أن يقدرا   وقد نفذ الله ما قدرا
وهل من عزاء على فقده   سوى أن هذا مصير الورى
وأنـــا سنذكره فاضلا   على الجبن والملق استكبرا
سنذكره ما حيينا فـــان   قضينا سيذكره من درى

الحاوي[1] !!

قد رأيت المحال رأي عيان ... ليس في حاجة الى برهان

رجل كالرجال جاء بما يعجز عن فعله بنو الانسان

يامر الماء بالوقوف فينصا ... ع وإن شاء لج في الجريان !

وترى سكرا بفيه ولكن ... مثل جمر مسعّر بدخان !

ثم يخلي من المياه إناءين اذا شاء بعد يمتلئان !

يضع الشيء في يديك فتلقا ... ه على الرغم منك في يد ثان!

ويغطي الأناء وهو خلاء ... ثم يأتيك منه بالثعبان !

ثم يدني الغطـاء منه ويأتيـك بزوج من الحمام يماني !

ويمزق عمامـة لغـلام ... ثم يلقي بها إلى النيران !

ثم يملي إشارة فنراهـا ... رجعت عمة من (الدبلان)!

ثم يفري فتاته فتراهـا ... مالها بالحياة قط يدان !

ثم تلقـاه من مهارته ر ... د لهـا روحها بغير تواني !

---

(١) قال العارف بالله عمر بن الفارض رضي الله عنه :

ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ... فهزل الملاهي جد نفس مجدة

قرنت بجدي لهو ذاك مقربـا ... لفهمك غايات المرامي البعيدة

فلاعبث والخلق لم يخلقوا سدى ... وإن لم تكن أعمالهم بالسديدة

ولكم رص في الهوا أعلاما ... زاهيات الأشكال والألوان!

كم خشينا عليه حين تحدى ... طاعناً كل جسمه بسنان

قد عجبنا لفعله ودهشنا ... فاشرنا له بألف بنان

وهو في فنه العجيب لقد فا ... ز لإبداعه بألف رهان

* * *

هذر ما نراه أم هو جد ... ومن الناس أم من الشيطان؟

زعموا أنه الخداع ولكن ... كيف في الشيء تخطىء العينان

وهي ملكي وكيف يخدع لبي ... وشعوري وفطنتي وجناني؟!

* * *

أيها الملحدون هذي أمور ... من صنيع الجهال والغلمان

عللوها فإن قدرتم فقولوا ... أنه لا إله للأكوان

لقيط

أبيها كان الظلوم البليدْ هل والد أم أمٌ هذا الوليدْ ؟

من نزغة الشهوة جاءآ بـه فويل لمن عن عفاف يحيد[1]

كالزهرة قد ألقيت في الثرى ومنـه تعفر خـد وجيد

يصوب نظراتـه للسما أتعرف من عينه ما يريد ؟

كانه وهو كحي طريـد إلى الله مولاه مبدي معيد

ببحر الحياة طفى مثلما يطفو على الماء شيء زهيد

وعـاش لا تحمد أفعاله كما جاء من غير فعل حميـد

ومن لم يؤدب في صغره سيفعل من لؤمه ما يريد

* * *

تهون على أرضنا أمـة تشبه أحرارهـا بالعبيد

وبخست أثمان أعراضهـا ولم يك للفضل فيها عميد

---

(١) قال عليه السلام : عفوا تعف نساؤكم

في الدويم [1]

بلدة خاب بمن فيها الرجاءْ   جمعت شمل لئام سفهاءْ

ففتى كالذئب في شكل امرىء   باسم السن خداعا ورياء

يظهر الاخلاص للناس وما   في طوايا نفسه غير الجفاء

حينما أظهر ما أضمره   ورأى من جانبي شر جزاء

قد هوى من فوره معتذرا   يلثم الاقدام طورا والحذاء

هو مفطور على الشر قضى   عمره بين خمور ونساء

وهو حي ذاهل تحسبه   جثة قد حنطتها القدماء

* * *

ومسيخ شاب في اللؤم ولم   يتخل عن رياء وافتراء

زوجه حرمها الف طلا   ق وياتيها بلا أي حياء !

صنم جل الذي أنشاه   من عظام ولحوم ودماء

* * *

---

(١) كانت الدويم في سنة ١٩٢٤ كالبركان يغلي الحقد بمن فيها فلا غرابة اذ بلغ السخط منتهاه في نفس شاعر قيام المحبة بين الناس من أعز أمانيه

وكذوب عزما يفخر به فاستعار الفخر من فخر النساء
بزنود وقوام وخدود ثم يمشي بعد هذا الخيلاء
أيها المفتون في خلقته وهي ظهر مستطيل ووعاء[1]
هذه الصخرة لو أنطقها الله قالت أنت شر الثقلاء
أنا لا أجهل أسرار فتى يتراءى .دائما كالنفساء

* * *

ودعيٌّ موغل في كبره حاملا رأسا من العقل خلاء
يدعي الجود فيهزي بيننا بالندى وهو ربيب البخلاء

* * *

و (عوير)[2] يدعي العلم ولكنه في علمه كالببغاء
كل من يلقاه يدري أنه صاغه الله مثال البلهاء

* * *

هل سمعتم أن شخصا مرة سره من بعض أهليه البغاء

* * *

نفر لا خير فيهم خلقوا من شرور ليس من طين وماء
بنفوس طفحت خستها فهي لا تصلح للناس وطاء

---

(١) يعني بطن
(٢) العوير بلغة السودان الدارجة هو الابله

ان يكن ربك سواهم فهم نفر أجبن من تحت السماء
ضـاع شرع الله فيا بينهم مثلما ضاع وفاء واخـاء
هفوة أخرى هفاها آدم إن يكن ضمن بنيه هؤلاء
جمعتهم خدعة لا صحبة بعضهم من خوف بعض رقباء
فهمُ الأعدا إذا ما افترقوا وهمُ عند اللقا كالأصدقاء
إن خلت دنياك من أمثالهم عاش كل الناس في ظل الصفاء
ظن كل منهمُ في نفسه أنه المفرد والناس هبـاء
وتناسوا أنــه ليس لهم قيمة الاصفار في هذا الفضاء
بعضهم يعجب من عبدي ويا ليتهم ساووا عبيداً أو إماء
جيد القول كثير والذي راج فيا بينهم منه الهراء
فخر كل منهـــمُ أن له ألف لون بين صبح ومساء!
ألفوا الخبث وهذا مرض أسأل الله لهم منــه الشفاء
فغضضت الطرف عن سوآتهم وتجملت بحـــلم وسخاء
وتجـاهلت وماذا أبتغي بعلومي بين قوم جهلاء؟!
غرهم ما قد رأوا من دعتي ولكم جر غرور لشقاء!
وتمـــادوا في أذاهم وإذا أحسن المرء إلى النذل أساء
أبمثــلي يتمشى حسداً بنميم مـــارقٌ للرؤساء
لا لذنب غـــير أني مرة لم أكن أدعوه عندي لعشاء!

* * *

أمة في غيها غارقـــة بعد أن جرعها الله الفناء
صير اللؤم بنيها شيعــا والصداقات نسيجا من رياء
خير من فيها كما أعرفهم لأشر الناس فيها نصراء !
قسمت أعمالها بين هوى ونفاق وخمول وادعــاء
تلك أدواء دهت أخطارها أمم الشرق سواء بسواء

* * *

أحمد الله على ما قد جرى فهو ضرب من ضروب الابتلاء
مرن النفس على حمل الأذى وأراها كيف ظلم الأبرياء
وأراهــا أن للحظ يـدا تحرم الكفء وتعطي الاغبياء
لست أنسى ما حييت أنني نالني من غير ما ذنب جزاء
لا ولا يذهب عني عجبي كيف غش الاغبياء الاذكياء ؟!
لا أبالي أن يواريني الثرى بعد أن ساد اللئام الكرماء

* * *

أيها الناس ألا فلتعلموا أن نفسي من ثراكم في السماء
أيها الناس أفيقوا وابصروا واقلعوا في الحال عن هذا العداء
واتقوا الله وعيشوا إخوة فمصير الكل في الدنيا الفناء
واتقوا الله فهـذا زائل ما ترون من تراث وثراء

علموا النشء ولكن فاعلموا	أن تعليم الخنـازير بـلاء

* * *

كربة في النفس قد فرجتها	بكلام فيـــه للنفس شفاء

شقيَ الناس بما اعتادوه من	سيىء الأخلاق والعادة داء

إنما الدنيا انطوت منذطوت	معدن الفضل الكرام الاتقياء

استقبال

فخامة المندوب السامي اللورد اللنبي (في الدويم)

أنا أهـوى الكمال في كل نفس وأجل الرجـال من كل جنس
واذا جاشت العواطف في نفـسي عمـدت الى دواتي وطرسي
فاتح القدس قد تغمدك الله بروح من المهيمن قـدسي
لك عزم من القضاء وذكر مشرق في الزمان إشراق شمس
جئت تستعرض الصفوف احتفاء لا لحرب بمدفـع أو بترس
يا أجل القواد في الحرب شرف فوق عـين من البلاد ورأس
كان تاريخهـا القديم جليلاً مثل مصر ومثل روم وفرس
ثم دار الزمـان دورة نحس عكست نجم سعدها شر عكس
فدرجنـا على الصعيـد حفاة بين غبر من الجياع وشعس
قل من يذكر الحقائق منـا وكذا الجهل والتعصب ينسي
فاسعدونا فقـد شقينا بجهـل مطبق كالدجى وفقر وبؤس
وافتحوا دوننـا المجـال فإنا قد دهينا من الزمان بيأس
وأقيموا فنحن أحوج منـكم ليـد تعمر البـلاد ورأس
واسندوا الحكم للكرام فمنا في الهوى والضلال عالم رجس

وادفعونا الى الأمـــام فانتم أقدر العالمين من غير لبس

وخذونـــا برأفة وبباس يثمر الحـكم بين لين وبأس

عشت ياورد للبلاد وعاشت أمة متعت بافخم كرسي

وليدم بيننـــا التعاون والإخلاص والود وهو أطيب غرس

ثم لو تنطق البـلاد لقالت ألفـشتان بين يومي وأمسي

بين الله والطبيعة [1]

في جنينة قصر الملا بأصوان

نما على أرضها الشجرْ وقد جرى تحتها النهر
وشيدت حولها بيوت بهـــا إله الورى ذكر
وللتواريـخ ذكريـــات تحف من حولهـا غرر
فانت مستعرض صفوفا تمـــر أطيافهـــا زمر
ترى بها التين وهو غض وفوقـــه حيـة ذكر

* * *

جنينة حدهـــا البصر كجنـــة الخلد في الكبر
وقارهـــا يخلب الحجى وحسنهـا يخلب النظر
يسحرك الصبح إن سفر والليل فيهـا اذا اعتكر
والمـاء والزهر والشجر والنجم والشمس والقمر
والنيل مسترسل شحيح كانـــه الكوثر الخصر
تراه ينساب كالأفـاعي بين الملفـــات والجزر

---

(١) لخص الشاعر في هذه القصيدة مـــا كتبه الأستاذ العقاد عن هذا الموضوع في كتابه مطالعات في الكتب والحياة صفحة ١٨٧ لأنه شريك له في شعوره بجمال هذه البقعة المباركة .

والطير في الأيك صادحات تجيد لحنـــا بلا وتر
والورد في رقــة يحيي أهلا وسهلا بمــن حضر
كأنمــــا كل وردة عصارة الناس لا الشجر
كأنمــا شمسها عروس ترفل في النور للسرر
صفت وكادت بصفوهــا تهتك في الغيب ما استتر
وكم لهـــا من مــآثر في النفس محمودة الأثر

* * *

ترى على القرب (فندقا) يمثل الأرض والبشر
كذلك الأرض (فندق) النــاس فيه على سفر

* * *

حــدث لمستعبر نظــر عن غابر الملك والأسر
وعن ملوك هناك كانوا على الزرابي والسرر
جزيرة الفيل ثم تبدو كاليخت في النيل قد مخر
تحمل فيهــــا لمن غبر عشرين من أشهر العصر
فتلك (موفي)[1] وذي (كروفي) وتلك بئر لها خطر
كان هنا بينهم إلــــه يفجر النيـــــل للبشر

(١) موفي وكروفي صخرتان قال هيرودت أن إله النيل كان يسكن بينهما وأنه يفجر النيـــل من ثم شعبتين تجري احداهما الى مصر في الشمال وتجري الأخرى الى النوبة في الجنوب .

وكان (خينومها)[1] إله بكل أبنائـــه أبر
يامر شلاله فيزكي الزرع والضرع والثمر

* * *

يا واحة من حياة جيل بين صحارى من العصر
تحف من حولها الجبال كأنها الطوق من حجر
لو رد حصن ردى لردت عن ملك أربابها الخطر
فيك رجاء وفيك ياس يلمحه الفكر لا النظر
وفيك ذكر لمن ذكر وفيك شعر لمن شعر
فيك حياة وفيك موت يرمقنا خلسة شذر
فالزهر والطير فيك حي والله والناس والشجر
والموت بين الطلول يبدو والمجد تحت الثرى اندثر
سلمت لو تسلم الجبال من عصفة الدهر والقدر

* * *

جنينة حسنها بهر ومثلها في الدنى ندر
لا تبلغ العين من مداها ما تبلغ النفس والفكر
سئمت مكثي بها فهـل أسلم في الخلد من ضجر!

---

(١) خينوم . اله الشلال .

بين أطلال سنار

صمدت للعظات هذي الطلولُ فاصغ يا صاحبي لما ستقولُ

رافعات رؤوسها ولكم دقت على هـــذه الرؤوس طبول

بعثرتها يد الزمان فامست جازعات كأنهن فلـــول

قد برى بعضها الزمان فصارت مرهفـــات كأنهن نصول

مشرفات على الزوال بأمر القـــادر القاهر الذي لا يزول

هي والدهر والأله على مـا قد جرى حولها شهود عدول

أيهـــا الطرف لاعدمتك لا تجفل فكم هاهنا أغارت خيول

لم تقم هـــذه الخرائب إلا فوق ملك عنه الكلام يطول

هدمته يـــد التعصب والجهل وضرب من الحروب يهول

ليس يبقى على البسيطة ملك للملوك على الضعاف يصولوا

خمدوا الآن في التراب فجاءت تتبـــارى إلى شرامم عجول

لا يعيد الأسى الحيـاة لميت فلم الدمع في المآقي يجـول ؟

ان ما فات لا يعود كمن مـا ت وطول الكلام عنه فضول

ان هذا الوجود سوف يزول وكذا السعد للنحوس يحول

واذا استغرق المفكر في أحوال دنيـــاه لاعتراه ذهول

قل لمن عد في المحال وجود الغول يا صاح ان دهرك غول

شيخوخة شجرة

ذهب الشباب فاطرقت　　إطـراق شيـخ يائس
قد ودع الدنيا ومـــا　　فيهـا بوجـه عابس
صمتت وربـت صامت　　يسديـك وعظ النابس
ليست كسابق عهدهـا　　تزهـو بفـرع مــائس
ومواكب للطير مـثــل　　مواكب لعرائس
عكست لنـــا آياتهـا　　سبـح باسم العاكس
فالماء لا يندي لهـا　　عودا بـه كالقامس
والشمس منعشة النبــا　　ت غدت لهـا كالرامس
وتكشفت عن جزعهـــا　　رأس العجوز البائس
فإذا هززت به رمت　　بعقـــارب وخنافس
ولقد تروعك في الظلا　　م كمارد متقاعس
أو هيكل نصبوه من　　عظم بوسط بسابس
لم يبق من أوراقهـــا　　إلا كظفر يابس
فالريح إن هبت تمـ　　ـر بها كمر الهاجس
شاخت وقد عاشت دهو　　را بعد موت الغارس
كانت يشوق جمالها　　عين الغزال الآنس

فغدى يروع جلالها الضافي فؤاد الفارس
وهي التي ستصير يو ما ما نار القابس

* * *

فرصة

ذاب قلبي عليه حين تدانى بين عطفي مسلما لي عرضه
وقواما يكاد يقصف رطبا طوله في الجمال ناسب عرضه
فاعتنقنا حتى اذا غلب الشو ق على الجسم كاد يفقد نبضه
هو كالدمية المصاغة من ذهب أحمر قد أفرغت بقالب فضه
يكسر الطرف حين تعبث كفيّ باعضائه اللدان الغضه
ان من صدع الخواطر بالإعراض قد رق لي فاجزل فيضه
فاجتلى خاطري الفنون من السحر وعيني اجتلت محاسن روضه
فرصة لو تتح لناسك قوم لتناسى الى القيامة فرضه
لم أجزلي [1] من التمتع فيها غير ما جاز وانقضت كالومضه
طال من بعدها البكاء على الحسن وقد صار للتحول عرضه

---

(١) أي لنفسي .

كلب الحمار [1]

أو المعاني والأشكال

من طريف الآثار والأخبار أن كلباً متيم بحمار !
هجر الناس والكلاب وأمسى وهو حر من الهوى في إسار
لم يفارقه في الإقامة والظعن برغم الكثير من أخطار
كم جرى والفلاة تضرم كالجمرة خلف الحمار بالمشوار
وسرى والضباع تهجم للفتك فيلقى الهجوم كالمغوار
عبر النيـل خلف فلك حملتـه على رُغم شدة التيار
كم رأيناه وهو يوغل في الوثب ويبدي فنونه في الهذار !
كل ذا والحمار يأنس بالكلب ولم يبد منه أي نفار
وإذا هم بالنهيق ترى الكلب بضرب من النهيق يجاري !
هو كلب وليس يخطىء من قا ل : ولكنه بروح حمار !

* * *

مَثَلُ الكلب والحمار رأينا ه على هذه البرية جاري

(١) ليس بين موظفي مركز سنار في سنة ١٩٢٥ م من يجهل قصة هـذا الكلب والحمار وقد كانا ملكاً لحضرة اليوزباشي عثمان أفندي علي كيله مأمور المركز المذكور .

فمن الناس من تدلك سيما ه على أنه من الأثمار
ومن الناس من يروعك كالجن وإن لم يكن بجسم ناري
رب جمع من اللذات رأينا ه كسرب يرف من أطيار
لست أنسى التي إذا خطرت يخطر بالبال شكل ملك ساري
رب شكل له بباطن نفسي أثر لا تحده أفكاري
صور بان للبصائر منهن معان خفين عن أبصار
رب شخص اذا تجسد معنى فيهما كان غير وحش ضاري
شفة المرء قد تدل وعينا ه على ما احتواه من أسرار
أنا لا تأخذ المظاهر مني لا ولا يخدع الطلا أبصاري
كم فتى أكبرته أعين غيري هو عندي كمثل (كلب الحمار)
ربما عاد للوجود حماراً إن تعد خلقه يد الأقدار
ان بعضا من البرية أدنى من هوام تعيش في الأقذار
رب شخص تراه يرفل في السندس من حلة الفضائل عاري

طلل[1]

أدامك الله أيها الطللُ وفدتك القلوب والمقل
أنت آثار دولة ذهبت وملوك الى الثرى رحلوا
رزؤهم ربما يهونه أن سيمضي في إثرهم زحل
لكل حي من العباد مقام قصير المدى ومرتحل
غير أن الذين أبصرهم قد يساوي آلافهم رجل

* * *

أيها القصر قد صمدت على الكره ولو أن خطبك الجلل
مشرف أنت من رباك على الخلق لأغلا العظات ترتجل
تخطىء السمع غير أنك لا تخطىء قلبا بالله يشتغل
أنا أدرى بما عنيت من القول وقلبي لوحيك النزل
كنت بالملك حافلا زمنا بالوف الضيوف تحتفل
للنهى والصلاح فيك وللجود وللعز تلتقي سبل
لك في أعين الورى حرم حال دون انتهاكه الأسل
قفوا قليلاً به فليس له بتغاضي أمثالكم قبل

---

(١) هو قصر قائمة أطلاله على شاطىء أرجو بناه أحد ملوكها السابقين هو أفخم من قصر الملا القائمة أطلاله على شاطىء أصوان .

مطرق مثل من أقام لإفشا ء حديث وعاقه الخجل

خاشع إن تراه تحسبه من خشية الله حفه وجل

قد وقاه الإله من ضرر النهر فما حف سوره البلل

من ذراه الطيور تخشع من تسبيح حيتانه فتبتهل

من سنا الملك قد تعطل لكن له من وقاره حلل

لم يزل شامخاً على مضض حاسر دون شاوه الجبل

مرتع الأسد كان ثم غدت ترتع الشاة فيه والحمل !

وزوال النعيم صيرنا لضروب الارزاء نحتمل

نحن في عالم كمسرح تمثيل أرى ستره سينسدل

الودع

أرت أم عباس[1] أعجوبة	تضل كبير الحجى (بالودعْ)
وما أم عباس إلا عجوز	تقي بهـــا نزعة للورع
تبشرني وعلى وجههـــا	بريق السرور بحظي لمع
وتحلف إن لم أنل ما ترى	فليست تعود (لحط الودع)
تجـــادل إن أنـــا جادلتهـــا	كمن هو في فنه قد برع
تلقته عن ملكٍ[2] في المنام	فأي ملاك لهـــذا شرع
نذرت لهـــا شقة مؤمنا	بان الذي أخبرت لن (يقع)
ففازت بها رغم مطلي لهـــا	مطرزة ليس فيها رقع !
فقد نباتني بمـــا لم يدر	ببالي وها هو حقاً وقع
فواعجبي كيف نباتهـــا	وديعاتها بأمور تقـــع !
وواعجبي كيف في عصرنـــا	تصح الخرافات في المجتمع؟!
وإن كنت صدقتها ما ادعته	فما أنا إلا لعقلي تبـــع
ولست بمعترض بعدها	إذا أصبح الناس جمعا (شيـــع)

---

١ - هي جدة صديق للشاعر كان يطلب منها أن ترى بخته بالودع على سبيل التسلية فنبأته بأمور صدق أغلبها .

٢ - سئلت عن كيفية تعلمها الودع فقالت أنها تلقته من ملاك زارها مناما

وفي (الرمل)[1] أشياء لكن له حساب على فهمنا ما امتنع
أمور أرى بعض أسرارهن صدقا به من دراه اقتنع
على أنهـا خدع عند ما يزاولها بعض أهل الطمع
أصدق منها صحيحاتها وليست تجوز عليَّ الخدع
ولكن من الحمق أن نترك اللباب مشايعة للبدع

(١) (الرمل) موضوع له كتـــاب مطبوع بخلاف (الودع) الذي لا قاعدة لتعلمه .

احتيـــال

على تقبيل غزال

جاء للقصر يخطرُ وهو بالحسن يبهرُ
ثم حيـــا مسلما وهو ساهي يفكر
قلت:هل حرت مثلنا في جمـــال يحير ؟
وفم مثــــل حسنه الفرد في الناس يندر
قال : بل ثغرك الجميل وإن كنت تنكر
وعمدنـا الى الجـدا ل لأمــر سيظهر
ثم لمـا انتهى الجدا ل لما كنت أضمر
قلت : مهلا فبالقيا س إذا قست تخبر
ونهضنا ورب مـن جد في الأمر يهذر
ثم أدنى إلى فمي فمه العذب يسبر
عند هـذا اختلسته قبلا وهو ينظر ؟
ثم لمــــا استلذها هو ألوى يكرر
فأهاجت عواطفي وهو مثلي وأكثر
فجنحنا إلى العنا ق فــزاد التأثر

هو للذة استنام كمن ليس يشعر

غير أني كما خُلقت فتى لست أغـــدر

لم يرعنا سوى الرقيب كابليس يطفر

فنـأى نافـــراً ولا غرو فالظبي ينفر

وكذا فالملاك ليس مع الجن يحضر

جهلـــوا

بعد أن طال في هواه صدودي　　سمح الحب لي بلثم الخـــدود
وتهـاوى وقد تملكه العطـ　　ـف على ساعدي بصدر وجيد
فسرت كهربا المحبة في الجسـ　　ـم وقلبي غدى بغير حدود
كلما رفت الشفاه على الثغـ　　ـر تملت قلوبنـــا بشهود
ومجال الغرام ان فتح الله على العبد ليس بالمحدود
كلما استعذب الدعابة مني　　لج في عتبه ليعجم عودي
وإذا اهتاج من حرارة قبلا　　تي أوما إليَّ بالتهديـــد
فاذ ما اندفعت ألثمه أسـ　　ـلم لي ثغره الشهي الورود
وتثنى كالمستجير من اللو　　عة أو ضم قده الأملود
يُتغاضى عند احتكامي في الخصر ويلتذ عند مس النهود
ولـه نفرة اذا حكم التيه كظبي من الشراك شرود

* * *

لا تظنوا بي الظنون فاني　　يعلم الله واقف في حدودي
وهيامي بالحسن يقرن بالعفة والطهر لا بخبث مريد
أنـا أقلو الجميل تنقصه الرقـة والظرف فهو كالجلمود
وأمج الجميل تنقصه العفة كالجيفة التي في اللحود

أنا أصبو إلى الجمال ولكـن كمال الجميل بيت قصيدي
أنا لو كنت قد خلوت من الحب لما كنت شاعراً بوجودي
فدعوني أخلو بمن ملك القلب وإني من الحجى في قيود
ما ألذ الحياة تملأ نفسي مستظلاً بظله الممدود
ما أحيلاه حين يظهر كالكو كب في سيره لدار سعود
ما أحيلاه حين يخطر في الغر فة مستمهلاً بخير القدود
ما أحيلاه حين يبسم عن ثغر شهي وطرفه في هجود
هو كالورد قد تجمل بالنضرة والظرف لا بزاهي البرود
ضل عن منهج الحقيقة قوم نسبوا أصل جنسه للقرود !
جهلوا قيمة المحاسن والعقل وما في محيطه من بنود
وإذا صح ظنهم فماذا ما ارتقى للكمال باقي القرود ؟ !
وإذا صح ما ادعوه فماذا يصبح الناس بعد دهر بعيد ؟ !

* * *

يا دعاة النشوء عنه تنحوا فهو منكم توغل في الجحود
أولم توجد الطبيعة إلا لقبيح القرود أو للفهود
إن من كان ليس يفهم كنه النفس يعييه فهم أصل الوجود
فاتبعوا آدما وإلا استردوا من يد الدهر ما لكم من جلود !

الى النفس

أيسديك أولى الناس بالطيش حكمةً   فما ترعوي يا نفس سراً وجهرة
لقد أخلص القلب المعذب وده   لها فعلى مَ الهمس بالغدر خفية
ألا أنت شر بين[1] جنبيَّ وليكن   مصيرك للحتف المروع بكرة
نزعتك لو كان المصير بخاطري   وزدتك يا نفسي هواناً وذلة
لأنك لولا عفتي وتجلدي   لأورثتني يا نفس عاراً وسبة
هبيني امرأ قد مزق الشوق قلبه   ألست على الآداب أطفح غيرة
وهل أثر اللذات يبقى محبباً   إذا أنت بلَّغتي مدى العمر لذة

* * *

ألا قاتل الله النفوس فإنها   لكل بلاء ملقيات أعنة
كأن لنا نفسين نفس كريمة   وأخرى أراها للكريمة ضرة
فتدفعنا نفس إلى الخير والتقى   وتدفعنا الأخرى إلى الشر عنوة !

* * *

نقيضان في جسم ضعيف تجمعا   إذا احتد ما قاسيت في الحال نكبة
جهلت كياني ثم إن رمت علمه   أو ازددت علماً ازدت جهلاً وحيرة!

---

(١) قال عليه السلام : أعدى عدويك نفسك التي بين جنبيك

موقف غرام

(بين الاباء والاذعان)

قـد عشقناك لا لأنك أنثى — منك يقضي أوطاره الشهواني
لا ولا أنت بالوحيدة في حسـ — نك حتى تقول مـا لك ثاني
بل أطعنا الهوى لأنك أنثى — جمعت ذاتهـا أدق المعـاني
فطموح الشباب صار له العقـــــــل كما يقتضي الهدى كعنان
واضطرام النفس الغريرة بالشهــــــوة تخبوه رغبـة في الصيان
لك عقل لا كالعقول ونفس — لأجـل الميـول كالميــدان
فكمال الخصال في ضفتيهــــا — بجلال الجمال يلتقيان
ما رأت مقلتاي قبلك أنثى — قد تحلت بالحسن والاحسان
كلما استرسلت دموعك يستر — سل قلبي الكسير في الذوبان
إن قلبي ودمع عينك هـذا — بعض ما للوداد من أثمان
يثمر الود إن تعارفت الأنـ — فس لا من تعارف الأبدان
عشت طول الحياة أشعر بالغر — بة بين الصحاب والإخوان
وعجيب أن لست أغفل عن ذكـــــــراك في اليوم غير بضع ثوان
أنت أنسي برغم بعدك عني — وسمير معي بكل مكان !

إن ذكراك كالدواء لذيذ الـــــــطعم يشفي من سقم بعد عراني

* * *

أيها الناس من عذيري في حـ ... ب فتاة كأحسن الفتيـان

فلها رقة الأنوثة في العشـ ... ق وفي الجد همـة الشبان !

تمنع الثغر أن يرف على الثغـ ... ـر حياء ورغبة في الصيان

وهي لو كانت الصبابة تردي ... لتردت بلهفة الولهان

تتأبى في رقة واحتشام ... ودلال يذوب منه جناني

ثم ترتاع من تذكرها البـين فتلقي بالنفس في أحضاني

ولها من كمال عفتها حصـ ... ـن يقيها وعصمتي إيماني

تسحر القلب بالحديث وناهيـ ... ـك بقول كأبدع الالحان

كلما اشتد شوقها استعطفتني ... بكلام العيون لا باللسان

نظرات تشف عن مضض الصبـ ... ـر وتملي لخاطري ما تعاني

فيثير الهوى كوامن نفسي ... وبها من مثاره ضعفان

فيبيح الثغران من ألم الشو ... ق كلاماً تلذه [1] الشفتان

وهي ترتاع حين يلتقيان ... ثم ترتاع حين يفترقان !

وقفت من حيائها الجم واللو ... عة بين الإباء والاذعان

---

(١) يعني التقبيل

موقفاً مدهشاً تكافح في نز عات نفس تشب كالنيران

قد أراني الغرام أن نقيضاً ونقيضاً في النفس يجتمعان

ويح روحين عند كل عناق كادتا في الفضاء تنطلقان

وهما بعد كلما التقت العيـ نان بالحب جد تمتزجان

لهما الله في الإقامة والظعـ ن وصدق الهوى وفرط الحنان

هان والله في حياتي ما يصـ عب لو هان بعدها سلواني

ولعي بالجمال كان وللنا س ولوع بالأصفر الرنان

ويثير اغتباط نفسي نفسا ن بحبل الوداد تتصلان

فدعوني يا قوم أنعم بالحسـ ن ملياً في غفلة الأزمان

غاية الله والطبيعة في الخلـ ق كمال النفوس والأبدان

إنما تعمر العوالم بالحـ ب وفي الحسن بهجة الأكوان

الامتزاج الروحي[1]

أراها فتشتبك المقلتـــا ن وتنتعش الروح بالنظرة
ونسكر لا سكرة الشاربيـ ن ولكنها سكرة الحيرة
فتنعم أعيننـــا بالكلا م وأفواهنا دونه كمت
يترجم عن حالها طرفهـا وطرفي يترجم عن حالتي
وإن لامست شفتي ثغرها رأينا العجائب في القبلة
تكاد لشدة أشواقنـا تلابس مهجتهـا مهجتي
أحن إذا ابتعدت لحظــة وإن غبت عن عينها حنت
حنين النفوس إلى بعضها وليس حنيناً إلى شهوة
أطيل إلى حسنها نظرتي فتصبو إلى رشفه مقلتي
فواعجبي كيف أن التداني يزيد على حسنها لهفتي !
وواعجبي كيف يضحي السرو ر مزيجاً من الوجد واللوعة
فيا من سكرتم بخمر الدنا ن هنا لك سكر بلا خمرة
هنا لك حيث تكاد القلو ب تذوب من الشوق والرقة
هنا لك حيث الجمال المز ين باللطف والظرف والعفة

---

(١) قال عليه السلام : الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

هنا لك حيث امتلاء القلو ب بالحب والعطف والغبطة
هنا لك حيث يشع الصفا ء والنفس على كنهها شفت
إذا امتزجت بالهوى مهجتا ن فصيرها الحب كالمهجة
هنا لك تلمح فوق الثرى مثالاً من العيش في الجنـة
وما ذاق طعم الجمال امرؤ أحب المحـــاسن للشهوة

* * *

جبل على الشاطىء (بدنقله)

قائم فوق شاطىء النهر ذاهل عن حوادث الدهر
ملاقياً ليله بـــلا ذعر ملاقياً صبحه بلا بشر
مطرق إن تراه تحسبه يهم بالنطق وهو من صخر
ككتلة من دجى إذا اعتكر الليـــل وكالعهن في ضيا البدر
واتصلت بالسماء قمتـــه ودونها عز مطلب الطير
تلتف أشجاره وقد قصرت من حوله كالجنود في الأسر
كانه قد أقـــام محتفظاً برمـــال تلوح كالتبر
مخـــلد في مكانـــه أبداً برغم كر القرون والفر
ولو دهته الحياة آونـــة لقصرت منه فسحة العمر

أقسمت

أرخصت يوم فراقك الدمعا وأصم وقع أنينك السمعا

يوم اعتنقنا للوداع وقــــد كدنا نخر من الأسى صرعى

وتعالت الاصوات من جزع حتى كأن فراقنا منعى [1]

أواه من قلبي ومن زمن أودى بحبل وصالنا قطعـــا

إني ساذكر ما حييت حجى وسجية طبتي بهـــا فرعا

ولطائفاً تشفي مآثرهـا من قد تعالج نفسه النزعـــا

أقسمت بالرحمن خالقنـا قـد زاد حبك عالمي وسعا

فيزيد وجهك حين أبصره نور الشموس بمقلتي سطعا

وأقول فيـك الشعر مرتجـلا فتخف آلام النوى نوعـا

روحي وروحك منذ أن خلقا هذي لتلك حبيبـة تسعى

* * *

يا للنوى وأحـــد أسهمه وأشدها في مهجتي وقعـا

واهاً على زمن نعمت بهـا كان العفاف لها ولي درعا

كالغصن لا تنفك جاعـــلة أعطافهـــا لإرادتي طوعا

ولقد عبثت بنهدها حذراً فوجدته لحنانها ضرعـــا

---

(١) من النعي

ولثمت منها الثغر مكترثاً فوجدتــه لمسرتي نبعــا
لا طامعاً في ثلم عفتهــا بل كي أهدىء من الروعا
روع ادكار البعـــد ينشره حب أثار بمهجتي نقعـا
وأنا كمن لا يبتغي أبداً من بعـد لذة روحـه نفعـا
والنفس إن (قامت[1] قيامتها) أوسعتها بفظاظة ردعا
أحنو عليها وهي تنظر لي فتزيد عرف ودادها ضوعا
نظراً يشف عن الوفاء ويد فعني إلى إجلالهـا دفعـا
ظلم الهوى قوم وما علموا أن الغرام يهذب الطبعـا
ولقد يرقق نفس صاحبه وإلى الكمال يزيدها رفعـا
ولئن نعمت بقربهـا زمنـاً فالآن ضقت ببعدها ذرعا
يا من قضيت بما نكابـده هلا أردت لشملنا جمعا ؟
أقسمت أني إن حظيت بها يوماً أقبل ثغرها سبعا[2]
إن كان في الأعمــار باقيـة أولا فإن لربك الرجعى

(١) يعني إن ثار ثائرها

(٢) حظي بها وصده الحياء عن البر بقسمه ..!

على قبر

الملك طنبل حمد

أيها الراقد أهديك السلامْ بخشوع وانكسار واحترامْ
من سويداء فؤادي في اضطرامْ يتلظى بدموع في انسجام
منذ أدرجت وحيداً في الرغام

لفديناك لو استطعنا (فداءْ) وشفينا لو من الموت شفاء
ما لنا في رزئك الدهر عزاء ليت شعري أو نحظى باللقاء
في حمى الرحمن في دار المقام ؟

هذه الدنيا الخؤون كسرابْ إن مشى الصادي اليه للشرابْ
وجد الله فوفاه الحساب فاهنأ الآن بقرب وثواب
غانماً أجر صلاة وصيام

كنت تقضي الليل والناس رقود بين ذكر وركوع وسجود
عالماً أنك بالتقوى تسود واثقاً من أن في الأخرى الخلود
وكريم مثلك ليس يضام

سرنا أنك في النوم نراك مشرقاً من شرفة القصر سناك
لم تزل أنت كما كان علاك كيف أفلتَّ سليما من ثراك ؟
آه لو صح لنا هذا المنام !

بيتك السادر في حرز حريز   فهو يرعاه كرام الانجليز[1]
قد أجازونا كما كنت تجيز   لم تزل أنت على الناس (عزيز)

فرعى الرحمن من يرعى الزمام

هذه الدنيا وما فيها عبث   همنا أكل وشرب لحدث
ثم ننحال رفاة من جدث   وإذا المرء مدى الدهر مكث

فهو بالموت كمن عمر (عام)

هبك يا صاحب قد نلت النجوم   أو تبقى لك أو أنت تدوم
هبك أخفقت فاضناك الوجوم   أتلوم الناس أم من ستلوم ؟

والقضاء ليس يصغي للملام !!

إن يكن هذا رثاء لأبي   فهو في الأصل رثاء شعبي
لرجال ولعصر ذهبي   مت للنفس بالفي سبب

وأبي صار له مسك الختام

قد نأى عن ملكه خاوي الوفاض   فبماذا يا ترى عنه استعاض ؟
عفوك اللهم ربي لا اعتراض   إنما سيف مقاديرك (ماض)

وهو مشهور علينا في ظلام

فلقد قيل حلال وحرام   وجنان قد أعدت وضرام

---

(١) يشير الى مساعدات المرحوم سعادة اللواء جكسون باشا وغيره لعائلة المرثي .

ويلذ الموت إن أدنى المرام أصدقونا أيها الناس الكلام

أو هل باح بما لاقى عصام[1] ؟

هذه الروح من الجسم سراج فإذا راحت غدى كالرمس (داج)

والردى ! ليس لنا منه علاج وهو قفر هائج شر هيـــاج

ومصير الناس ظن[2] وكلام

هذه الأرض بما فيها تدار وهي كالفلك ستهوي لقرار

أو ما يتلو الصعود الانحدار؟ فاستعدوا ! إنما أين الفرار ؟

ويلنا من هول ذاك الاصطدام[3]

إخفضي الصوت فما يجدي الصراخ[4] وفضاء الله مبثوث (فخاخ)

إسمها الأسباب والعـــالم شاخ كل مقذوف إليه إن أناخ

ضج من هول بلاياه العظام

حاز من تبكين عزاً (وشرف) ومن الدنيا كما شاء اغترف

ثم عنها صد طوعاً واعتكف ونأى إذ هاتف الأخرى هتف

وبقينا نحن في شر مقـــام

---

(١) عصام هو صاحب المثل المشهور : ما وراءك يا عصام

(٢) المقصود إن مصير الناس إلى الجنة أو النار خبر لاعيان

(٣) يعتقد الشاعر أن القيامة هي نتيجة اصطدام الأرض بأحد الكواكب

(٤) الخطاب لعجوز استرسلت في البكاء حتى أشرفت على الهلاك

كان للعافين بحراً من صِلاةْ ولمن لاذ من الدهر (نجاةْ)
ويلنا الآن وقد صار رفاة من لنا عند اشتداد الأزمات

وهي كالجحفل تترى في زحام

قلت لو كان لي القول يتاح غير أني عاجز أرجو (السماح)
فأنا كالنسر مقصوص الجناح أثخنته من يد الدهر جراح

فهو في أسر شجون وسقام

دالت الدولة والدنيا دول تخفض العالي وتعلي من سفل
وجنون فيه يسعى من عقل حبها والسم في هذا العسل [1]

أيها الوارد ! في الورد الحمام

زمن راح وقد جاء زمن طائش كالعير من غير رسن
قـــالب عمداً لنا ظهر المجن نحن إن لم نحظ بالعز فمن ؟

لا على الدنيا ومن فيها السلام

---

(١) لابن الوردي أبيات في هذا المعنى

في جوف الليل

مولايَ قد نامت عيونْ وتيقظت أيضاً عيون
نـامت عيونـ الخائنين وعيون نجمك لا تخون
ترنو اليـنـا وهي سا هيـة عن الدنيـا الخؤون
أتراه أذهلهـا جـلا ل الله أم مر القرون !
أم أن من فـوق الثرى لا يسمعون ولا يعون ؟

* * *

ما بالُها سكنت رحى حرب شهدناهـا زبون
حرب يؤجج نارهـا الـ ناس اللئـام الظالمون
يتطاحن الغربـاء في ساحـاتهـا والأقـربون
يتطـاحـن الصنـاع والتـجـار والمستخدمـون
يتطـاحـن الأخـوان والـآباء فيهـا والبنون !
يتطاحنون وأنت تعرف فـيم هم يتطاحنون
مـا همهم غير البطونْ أهون بـه ملء البطون
سكنوا جميعـاً والحرا ك وإن يطل فإلى السكون
قـد بيتوها للصبا ح فهل تراهم يصبحون ؟
يا ليت من جهلـوا الحقيقة بالحقيقـة يحلمون

آمنت أنّــــا في السرا ب وفي الجهالة سابحون
كم آيـة كالشمس بتـ ـنا عن سناها معرضين
من ذا يرى هـذا الجـلا ل ولا يذل ولا يهون ؟
من ذا يرى حصن السما ء وليس يحتقر الحصون ؟
من ذا يرى هذا السكو ن وليس يدكر المنون ؟
من ذا يرى هـذا الظلا م ولا تثور له شجون ؟
لا الطير صادحــة ولا بهرت بنضرتها الغصون
لا السوح آهلة ولا الـــأطفال ثمت يلـعبـون
خضعوا لسلطان الكرى واستسلموا لا يشعرون
يا ويــح قلب كل ذكـ رى فيه محدثة (طعون)
يا ويــح نفس منــذ كا نت وهي ترسف في سجون
آمنت أن الفـــرد فو ق الأرض أحقر ما يكون
مــولاي لو خيرتني لاخترت أني لا أكون
إن الذين رحمتهم ما بالهم لا يرحمون ؟ !
إن الظلام الحق لهو ظلام من لا يفقهون
هـذا لحق مثلما أن الخلائق ينطقون

ذهب الوفاء

ذهب الوفاء فلا ندامه　　مني عليك ولا ملامه .
فالناس مثلك في الخدا　　ع وفي الرياء وفي الدمامه[1]
لكنني منهم لنفسـ　　ـي أسأل الله السلامه !
(فالشيخ) خزي فادح　　متستر تحت العمامه
نذل (تقفطن) بالنفا　　ق ولف من جشع حزامه
ما هام بالتقوى ولكن　　بالضلال أرى هيامه
وكذا (الأفندي) قد أبا　　ح لكل موبقة زمامه
فتراه مختل النظا　　م نعى على المولى نظامه
الناس طاروا وهو في　　أسر الخلاعة والمدامه
نذق تملكه الغرو　　ر فضل نهج الاستقامه
ماذا سيحسنه امرؤ　　للآن لم يحسن كلامه

* * *

يا قوم إن كبيركم　　عندي لأحقر من قلامه
سمج يمت الى الزعا　　نف صار ينعم بالزعامه !
تتفاخرون ! أبا لمظا　　لم تفخرون وبالدمامه ؟

---

(١) القبح .

أم بالجدود وأنتم الـ ـآن الصعاليك اللمامه

تستصغرون الضخم ثم ترون في الذر الضخامة !

يا أجهـــل الأقوام خلوا عنكمُ دعوى الفهامه

يا ويـــل قوم ليس للأخلاق بينهمُ دعامه

ألفوا الركون الى الهوى والى الضلال والاستنامـه

إن أبصروا شملاً نظيماً بددوا عمـــدا نظامه

أو أبصروا ذا نعمة حسدوه وتمنوا انعدامه

ألفوا الشقاق وإنـــه خطب تناهى في الجسامه

عدم الذي داس الحقو ق فتى يدك له عظامه

إني على رغمي وُجد ت ولست أنعم بالإقامه

في عالم مـــا فيه فر د قد تخلق بالشهامه

حولي الألوف من الورى وتكاد تقتلني السآمه

ما سرني شخص اذا ما مر أهداني سلامه

إنّا أقل الناس إد راكا وأضيعهم كرامه

وأرى النفاق هو الردى ولكل متهـم علامـه

لن تستقيم نفوسنـــا الهوجاء إلا بالصرامه

إنا سنرغب في التقى لكنّ موعدنا القيامه !

سحابة

ظهرت (والفريق)[1] في دعة بعد أن أرسل الدجى سدله
سحابة في الفضاء سابحة فوق رؤوس الجبال من (كسله)
تحجب في الجو عنك أنجمه فلا ترى نسره ولا زحله
كأنها القارة العظيمة والجو محيط البرق قد صقله
قد عبرت فوقنا مغربة فنسى كل آمل أمله
كأنها والبروق تضرمها جزيرة في السماء مشتعله
وكلما صار بعضها مطراً اجتذب البرق نحوها بدله
ولو ترى الحي عندما رعدت أشجع من فيه قلبه خذله
تذوب كالثلج فوق تربته فنبصر الماء غامرا جبله
قد حمد الله عندما ذهبت وأذهبت من ربوعه محله
فانتقل البعض للزراعة والبعض الى الغاب راعياً إبله
قد كان كالقفر لا نبات به فأصارته جنة خضله
كأنها بالحياة مثقلة فوق ربوع السودان منتقله
وهكذا يرسل المهيمن بالرحمة والفضل للورى رسله
غير أن الهوى تحكم والنا س غدت كالكلاب مبتذلة

(١) الفريق هو الحي من أحياء العرب الرحل .

صبرت

صبرت وما الصبر فيه الشفاءْ فحتى م يا رب صبر السماءْ
لقد طال مني احتمال الأذى وطال من الناس هذا الجفاء
وما عابني غير أني فتى قليل الكلام كثير الحياء
بريء من اللؤم لي مقلة تغض وقلب بلطف الهواء
وديع صريح أمج الرياء وأعجل بالصفح عن من أساء
وما غرني مظهر كاذب ولا كان من طبعيَ الاعتداء
ويعجبني أن يقوم الولا ءُ بين العباد مقام العداء
ولكن .. أرى الناس ما همهم كمال ولا طيبة أو صفاء
وهبني نبيا لهم مرسلا فهل يسمع الصم مني الدعاء؟!
وهل يوجد الخير في عالم الى الله قدما أبوهم أساء ؟!

* * *

سانزل عن منصب يقتضي احتكاكي بشر الورى الأغبياء
يكلفني ثمنا : صحتي وخلقي وحريتي والهناء
وهذي إذا فقدت لم تكن لتعرض للبيع أو للشراء

توبة [1]

مولاي زغت عن الصوابْ وجميل ظني فيَّ خـــاب
والأمر أمــــرك والنفو س الى الضلال لها انجذاب
تبنـــا اليك ولقد نقض نا ألف مرةٍ المتـــاب
والحلم شانـــك والكريم يجود حتى في الرقـــاب
واذا سالت عن الذنو ب غدا فلن تجد الجواب
فـالنفس والشيطـــان والأهــواء أمرهم الجـاب
حملتني نـفساً لهـــا من ضعفهـا حزم الذباب
رمت الكمـــال لها فرا حت ترتجيه من السراب !
هي كالفراشة ترتمي حول السراج على العذاب
يا بئست النفس التي لم يحمني منها الكتاب
غبن وحقك أن تكل أمري الى شر الصحاب
لو ذاب من خجل فؤا د كان هذا القلب ذاب
قد أقفرت نفس على أطلالها نعب الغراب
خذ باليدين اليـــك واعمر عالمـا فيها خراب
واصفح فلست بطـارق من دون بابك أي باب

---

(١) قال تعالى : إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

حسبي على صدق اعتذا ري دمع عين في انسكاب
قد تاب خوفاً منك من قـد تـاب أيام الشباب
فـدع العقـاب فلست يا مولاي أحتمل العقـاب
واذا قسوت على الكلا ب فمن سيرأف بالكلاب ؟

* * *

رثاء شابة

صدقَتْ فيما حكت عنكِ الدموعْ وشعور القلب بالمـوت يروعْ
وكان الموت لا دمع النوى ذلك الجاري على الخد (سريع)
كنت تبكين لظعني ظاهراً وهو في الأصل وداع للجميع
بين ليل ونهار قد خلت فجاة من شخصك الغالي الربوع
ومشى خلفك للرمس الورى ليتهم زفوك للعرس الجموع
ويحنا من نـار حزن سعّرت بدلا من نار عرس من شموع
تعب يودي به الموت سدى حين يجتث الاصول والفروع ؟
وعلى م الجهد في الزرع إذا كان قبل النضج يودي بالزروع ؟
كلما حاولت تدوين رثـا أذكر الموت فيعروني الخشوع
إن يكن في الارض خلد خلد الله في الدنيـا (محمد ويسوع)
فليكن هـذا عزاءً سائغـاً عند من خر لدى الموت (صريع)

الألوان

إن في الألوان أسـ رار أدراها من شعر
فهي للعينـين لذات كبـار وقرر
وهي في القلب وفي النفس لها أجدى أثر
فليكن منها علاج مستـديم للـبشر
فهي تشفي من هموم قاتـلات وفكر
ولـكم جـاء سقام من ملال وضجر
وهي كالخمرة نحـ سوها ولكن بالنظر
تملأ النفس سرو راً لا يشاب بكدر
إن من تأثيرهـا كان افتتاني بالصور
وامتياز الماس والجوهر عن باقي الحجر
ولهـا بعض مزا يا خفيت عنا أخر
لم نكن لولا اخضرا ر النبت نصبو للشجر
ثم لولا بهجة الـ أزهار لم نهو الزهر
كم فتنـا بنقوش فـاتنـات وغرر
لا يرى كل جمال ظاهر كل بصر

* * *

غير أن اللون لو لا الضوء ما كان ظهر

أترى لولا سنا البدر ائتنسنا بالقمر ؟

لاحظوا ما يعتري النفس اذا الليل اعتكر

ثم ما يحدث في النفس اذا الضوء انتشر

واشكروا الله الذي عن ذاته النور صدر

فهو نور في السما وات وفي الارض بهر

ثورة النفس في سكونها

ذكريني يا نجمتي[1] ذكريني بحبيب اليه طـال حنيني
ذكريني وما نسيت، ولكن عل في الذكر منهباً لشجوني
كنتِ فيما مضى رسول سلام ثم صرت رسول حرب زبون
ترمقيني بالف لحظ ولحظ أنا من كل واحد كالطعين
أين مني الحبيب لا غيب الخا لق وجهاً أحبه عن عيوني
كان نعم القرين ثم فقدنا ه فلم نلق غير شر قرين
ويح من قد قضى الحداثة[2] في الوحشة والسقم والاسى والسجون
إنه العجز لا الحياء ولا العقل أضعت به أعز سنيني !
قد شريت الحياء والعقل والفضل بغال من الشباب ثمين
ثم بعت الهناء وهو ثمين بخسيس من الكآبة دون !
ثم في الحالتين أبت وفي النف س شقاءان لا شقاء غبين !
إن سمعت الطروب يسجع عارضت من الوجد سجعه بأنيني ؟
كلما يزدهي يثير شجوني . من مجيري من الاسى ومعيني؟
كلما خلت أن نفسي استكانت دهمتني بثورة في سكون
ذبلت روضتي فمن لي أن تو رق من بعد ذا الذبول غصوني

(١) نجمة كان ظهورها في الافق موعداً لانصراف الشاعر من السمر دارت الايام فكان يراها في غربته منفرداً فيذكر ماضي لياليه.

(٢) الشباب.

ما حيلتي ؟

سل القلب عن حبه جاهداً فهل فيه تلقى سوى الحرقةِ ؟
طوته الليالي وقد خلفت تراثـا من الهم والحسرة
على لذة لم يطل وقتها أطال الزمان بها كربتي
على لذة كان لي طعمها مزيجاً من الحزن واللذة !
لقد طال بؤسي فقل لي متى أودع يا أملي شقوتي ؟
لقد طال ليلي فقل لي متى أودع آخرهـا ليلتي ؟
وما ليلتي فترة من ظلام ولكنها فترة الشدة
فحتى م يا رب هذا الزمان يشوب افتراري بالعبرة ؟
جهلت المصير فياليتني أخذت لهذا النوى عدتي
فياشوق مزق فؤادي فما بقائي من بعدها بغيتي
ويا ربتي كان في عونك الإله على البعد يا ربتي
صبرت ! وإلا فما حيلتي مع القدر الصعب ما حيلتي ؟!

عاصفة

بينما الجو بديـــع رائقٌ   فيه للنفس من الصفو مجالْ
والهواء الطلق يهفو عابثا   بغصونٍ تتثنى بـــدلال
ومياه الحوض تنساب ضحى   بين أشجار الحديقة كالصلال
وشعاع الشمس منها مرسل   مثل أسلاك من النور طوال
دهمتنـــا فجــــاة عاصفـة   بظلام مسبكر من رمال
وصفيرٍ هو كالنفخة في الصور إيذانـــاً لدنيا بالزوال
وبروقٍ أمطرتنــــا شرراً   هائلا كالقصر أو صفر الجمال
ورعود ذهل الناس بهـــا   عن حطام جمعوه وعيال
هي كالصيحـة في شدتهـــا   أو جبالٍ تتصادم بجبال
نكبة قد أصبح الجو لهـــا   شر ميدانٍ به شر قتال
حملت ما صادفت في سيرها   من متــــاع حطمته بالقلال
ليتهــــا كان رآها نفر   غرهم ما للطبيعة من جمال
فنسوا الله الذي أبدعهـــا   فائقا في صنعه حد الكمال

* * *

غفل الناس عن الشكر على   نعــــم الله فجوزوا بوبال
فاياسي يا نفس من إنصافهم   إن عدل الناس في الأرض محال

واستكيني واتركي الأمر لمن أبدع الكون تعالى ذو الجلال
يسهل الصعب على النفس إذا ذُكِّرت أن إلى الترب المآل
رب عاصفة إذا أطلقتهـــا من فجاج النفس طاحت برجال

الطلاقة

عشقتكِ والصبر عندي محالْ فلا تقتليني بهـــذا الدلالْ
وجودي بما أنت أهـل له ولا تحوجيني لطول السؤال
فبعد احتكام النهى والإبا ء علمني حبك الامتثال
وعلمني صدك الانفعـــال وعلمني طرفـك الاختزال
جمالـــك يختال من نفسه وإن لم يكن طبعك الاختيال

* * *

هو الروح والجسم سجن له وروحك حر بهـذا الجمال
طليق من الأسر كالطائر المغرد في الروض أو كالغزال
يحرك في النفس أسما الخصال بريء من السخط والانفعال

* * *

هو الجسم من غير روح مثال هو الروح من غير جسم خيال
أرى الحسن في خفة الروح والرشاقة واللطف والاعتدال
على أن للجسم نصف الجمال وأن الطلاقة نصف الجمال

الغروب

على شاطىء أرجو

ذهب اليوم وقــد آن الغروب° واعترى الكون على الشمس الشحوب°
زمر الطير إلى أوكارهـــا مسرعات من شمال وجنوب
كل شيء تبصر العين بــه ساكن في هيبة حتى الهبوب
تبصر النهر فتلقى ماءه حذراً في سيره مثل الهيوب
لهب في ميائــه يضرمه ذهب في صفحة الأفق يذوب
منظــر أبدعــه مبدعــه جامع من دولة الحسن ضروب
إن يكن فيه لعيني متعة فبقلبي منه حزن وقطوب
كل شيء فيه حسن إنمـــا كل حسن هو بالقبح مشوب

* * *

غابت الشمس هنا لكنهـــا أشرقت فوق بلاد وشعوب
غير أن الناس ما أحوجهم لشموس مشرقات في القلوب

* * *

كل يوم قـــد مضى مرحلة مسني من قطعها أي لغوب
قصرت فسحات آجال الورى ثم طالت بالرزايا والخطوب
كلما أعملت فكري لم أجد أبداً من ساحة العيش (هروب)

قـد جهلنا ما حذقناه وكم ... سترت عن أعين الناس غيوب
أقبل الليل بجيش من كروب ... أترانـا نبصر الشمس تؤوب
قـد يسر الليل شخصاً عنده ... طلعة عن طلعة الشمس تنوب

* * *

عتب

أيها المعرض ما هذا الجفاء ... وإلى مَ الصد (والدنيا فناء) ؟
ليست الأعمار ملكا للورى ... فتطيل الهجر فينا مـا تشاء
هبك أخطأت فمن ذا يا ترى ... من بني الانسان يوما ما أساء ؟
أو فهبني قد عتبت من أسى ... أو ما كنت جديراً بالعزاء ؟
قتل الانسان مـا أكفره ... بحقوق للأله والأخـاء !

* * *

نحن نهوى الحسن من معدنـه ... كلفـاً بالحسن فينا لا البغاء
ثم إنـا قـد طلبناه كما ... يطلبون الماء في الصيف الظماء
غير أنـا قـد عدمناه كما ... عدم الأعمى بصيصاً من ضياء
وهو لي مذ كنت أصل للشقاء ... وهو للغير سبيل للهنـاء
هو حظي وأنـا في حمله ... مرغم طوعاً لأحكام القضاء
إن في القرب وفاء وصفاء ... وأرى البعد عن العين جفاء
هـا هو الحبل فصله مثلما ... كان واستغفر وحيي برضاء

ليلـــة

من ليالي الخريف في السودان

سجي الليلُ والجو أمسى عباب — تلاطمُ موج به من سحاب
وقـــد برق البرق في لجه — فما أهول البحر فيه التهاب
وتنقض من بينـه الكهربا — ء كالنار لا كانقضاض الشهاب
وللرعد صوت تـكاد الجبـــا — ل تندك من هوله والهضاب
وتعصف في الجو هوج الريا — ح حاملة كالجبـــال التراب
وقـــد راح مختفياً كل حي — وقد لزم الصمت حتى الكلاب
وقد أصبح القفر بحراً ولم — يكن فيه بالامس غير السراب

* * *

هو الهول نلحظه خلسة — ومن مكمن آمن خلف بـــاب
شغلنا به عن سوانا وما — به شغلت عن دمانا الذباب ؟
اذا كان ليس لــــه قائد — لأصبحت الارض منه خراب

* * *

تفكرت في رحمة أرسلت — الى الناس من بين هذا العذاب
فآمنت أن احتـكاك القوى — حياة لمن فوق هذا التراب

منظر مساء على شاطىء ارجو

جلسنا عشاء بقرب النهر وقد فضض الماء ضوء القمر
ونام على الرمل أطفالنا وغيري انبرى لاهيا بالسمر
وما هم نفسي سوى منظر أثار بنفسي شتى الفكر
طلول شخصن بأعلا الربى وفي صمتهن دروس العبر
لقد أطرقت وبها مسحة حكت سام اليائس المنتظر
فبين الطلول وبين الحزون وبين النجوم أطيل النظر
فيرتـد طرفي لي خاسئاً كما ارتد ذو خيبة من سفر
سكون رهيب هنا شابه[1] حنين السواقي التي في الجزر
ديار من الناس قد أقفرت فماتت وقفر حي بالشجر
وفي المـاء طير اذا هاله سكون كصمت المنايا صفر
ترى السحب في سيرها تارة تـلم وآونـة تنتشر
وتظهر في الجزر الناثيا ت كآمالنا الخابيات النوّر

* * *

إلى أين أنت وحتى متى عبورك يا بدر فوق العصر !
هل الكون وهم يكاد الدجى يعفي على مـا له مـن أثر
فتعكس إن أشرقت شمسه بأعيننـا مـا له مـن صور
أم المرء إن أشرقت نفسه يرى الكون كالوهم فيها ظهر؟!

---

(١) خالطه .

الأصوات والصور

رب لحن سرى مع النسمات ... قد جرت من رنينه عبراتي
وكلام سمعته مـن حبيب ... سحر القلب منه بالنبرات
رب (موسيقية) سرت من جماد ... أنعشت مهجتي وأحيت مواتي
هل تمشت بها الحياة فجادت ... بحياة تسربت لحيـاتي ؟
إن بعض الألحان والنغمات ... قد أرتني الأكوان متسعات
رب صوت سمعته من بعيد ... دلني وقعه على الحركات !
ومغن سمعته في (الفنغرا ... ف) تصورت ما له من صفات
قـد تبينت أن للأصوات ... صلة في الخفاء بالكائنات
كمعان تلوح في البسمات ... وكلام يقـال بالنظرات
كم حبى سمعي الحديد لفكري ... صوراً صاغها من الاصوات !

* * *

كيف تستعرض الخواطر شكلا ... ضمن ما للهواء من موجات ؟!
أترى كوننا وما قد حواه ... وحدة رغم ما بدى من شتات
سلكتها جميعها في زمام ... منذ خلق الوجود أقدر ذات
ثم قد كان كالدليل على الله اختلاف الالوان واللهجات ؟!

ضفادع

ضجة جاوزت عنان السماء عند وادي[1] من الأنيس خواءِ
رفعت صوتهـا الضفادع بالتر تيل أو بالدعاء أو بالغنـاء
بقريض من القيود طليـق فاجادت في النظم والإلقـاء !
مزجت ألف ألف صوت وصوت عند ترتيلهـا وعند انتهاء
كيف قد ألفته وهي شتيت بين دان من الشقوق ونـاء
ملأت واسع الفضاء ضجيجاً منظما زاد رهبة الظلمـاء
كلما استرسلت ترتل يستر سل سمعي والنفس في الاصغاء
هو (موسيقية) بلى هو شكر رتلته على نزول المـاء
أو ـ اذا شئت أن تقول صوابا ـ هو ما للحياة من ضوضاء !
أعلنت عن وجودهـا بنقيق وادع لا بغلظـةٍ وجفـاء
كم رأينـا من البرية شخصاً معلنـاً عن وجوده بعواء !

---

١ – هو وادي الصناقر التابع لمركز سودري « بحري كردفان » .

اختلال نظام العالم

في اليوم ألف مصيبه ... في أثر ألف عجيبه !
هذي من الناس تبدو ... وهـــذه كعقوبه
فكل يوم جبــالٌ ... ترمي بنـــار مذيبه
وكل يوم سيـولٌ ... تجتاح أرضا خصيبه
وكل يوم بحـــار ... تطغى بحـال رهيبه
وألف نفس قتيله ... وألف نفس حريبه[1]
كم راح زلزال أرض ... بمـن عليهـا رحيبه
أو انفجار مريـع ... يغالبـون لهيبـــه
وكل قطر يـــلاقي ... من الخـراب نصيبه
تمـوت في كل يوم ... بالانتحــار كتيبـه
وليس في النفس باك ... على النفوس الكئيبه
وكل فرد وشعب ... صاروا بحال عجيبه
لا الشيب للحق دانوا ... ولا استقامت شبيبه
ما في الرجال أديب ... أفي النساء أديبـه ؟
لا مسلم صان شرعـا ... ولا (مسيحي) صليبه

---

١ – مسلوب مالها .

هو اختلال رأينـا   في كل شيء دبيبـه
ما الأمر فوضى ولكن   لله عين رقيبـه
أرى أشر مصيبـه   قد علقت (بسبيبه)
ودكة الأرض صارت   بعن عليهـا قريبه !

جبل في سهول كردفان

قد قام فوق السهول أوحدْ   كأنه القاهر المقيـدْ
يعترض السحب في سماها   وهولنا في النهـار فرقد
تزيله كثرة المـراود   لو كان هذا الجماد أنمد[1]
نخـاله كلما اقتربنـا   في سيرنا من حماه أبعد !
ثم وصلناه بعـد سير   أتعب أجسامنا وأجهـد
نمـا عليه النبات فاعجب   على حياة سرت من الصلد
كان بقع الرمال عسجد   رصعها النبت كالزبرجد
لم تخدع النفس ما رأت من   زركشة في العروس تحمد
فاطرقت ثم في خشوع   وهي بصنع القدير تشهد
وأدركتْ أنني كهذا الجمـاد في الحيـاة تجمد

---

١ – المثل العامي يقول جبال الكحل تفنيها المراود .

ليلة ونهار

في نقطة جراد الصناقر بسودري

الشمس خلف الجبالْ غابت ولاح الهلالْ
والكون في العين أمسى حقيقــة كالخيــــال
كأنمــــا كل شيء مكون من ظلال !
تلوح في القفر نار ضئيلة الاشتعـــــال
وفوق كوخي طيور وخلف كوخي غزال
وحول كوخي نبات من حسكنيت[1] ونال
وغرب كوخي وادي نما عليــــه السيال
وقد أنيخت جمــال لتستريح الجمـــــال
وطال تسريح طرفي من فوق أعلى التلال
أرى على كل شيء كمسحة من جـــلال
هذا سكون مريح لمن أطـــال النضال
لكن نفسي تفانت في حيرة وانفعـــال
أواه ممـــــا تقاسي لجهلهــــا بالمـــآل
فهل ترى الموت يشفي من مثل دائي العضال؟
هـــذا سؤال ولكن ماذا جواب السؤال ؟

---

١ ـ الحسكنيت والنال نباتات تنمو في السودان .

لقد توارى الهلال والبرق في الجو صال
صار السحاب ركاماً أو مثلما قيل : شال
واشتد ريح فكدنا نروح تحت الرمال !
فكسرت في سراها الـ اشجار مثل النصال
وصار للرعد صوت حتى تعالى وهال
والجو قد صار نارا والبحر في الأرض سال
وللطبيعـــة حرب تذوب فيها الجبال
فكيف أنجو بنفسي من شر هذا القتال ؟

* * *

هذا هو الغيث فاعجب من وابــل في وبال

* * *

الحمـــد لله راقت وأعقب الحال حال
والشمس مدت الينا من الضياء حبــال
فاغرق الكون منها بحر من التبر سال
وراحت الطير تشدو وراح يرعى الغزال
وكل شيء أنيس حتى القطا والصلال
وكل شيء عظيم حتى أقـــل النمال
في الأرض وادي ووادي في الماء أو في الخيال

ومن جمــاد جبال ... ومن ظلال جبــال
أرى جمــالا فمــاذا ... وراء هــذا الجمال
هــذا نظام بديـع ... لكنــه لــلزوال
لكل شيء (حقيقة) ... لكنهـا في الخيال !

* * *

هذا هو الصبح فانظر ... هناك بعض الرجال
فهل رأيت الضواري ... قد أطلقت من عقال؟

* * *

القــوم للسير شدوا ... على الجمــال الرحال
وهم من الجهل كادوا ... لا يفقهون مقــال
ثم انحدرنــا جميعــا ... نجري وراء الخيال !
مستأنفين قتــالا ... مع الجراد القتــال
فمــات منــا رجال ... ومات بعض الجمال
هــذا صيال وهذي ... يا صاح عقبى الصيال
لو كان في الأرض عدل ... ما شب فيها قتال
لكن خلقنا وفينــا ... ميل لهــذا النضال
ما دامت الارض دامت ... حرب عليها سجال

سأم قاتل

سئمت نفسيَ الحياة وملتْ   وكذا الحر في زماني يسأمْ
لا أرى أينما أقلب وجهي   غير قيد من النفاق تحكم
ووجوه سحقاً لها من وجوه   ورؤوس أحرى بها أن تهشم
وأناس ما بين غر جهول   وسفيه على الكرام تهجم
وحفاة من الورى وجياع   ليس في الناس من يرق ويرحم
إن شر الدواب من لا يفهم   والذي لا يرى الأصم الأبكم
هو حال أراده الله للنا   س لأمر بـه المهيمن أعلم
لا رجاء في من (تفرنج) منا   لا ولا في أخي القديم المعمم
طال تمثيلنا الشقاء على الأر   ض فحتى متى الرواية تختم
ومتى تسدل الستارة والأر   ض بمن فوق سطحها تتحطم

زميل

يلومني كل وقت لوم الخليل المصادقْ
على اعتزالي وبعدي ونزلتي في (الفنادق)
يقول : زرنا فانّا ما بيننا أي فارق
فقلت والقلب يدري بانــه غير صادق
إن كان هذا فاني على (الزياره) موافق
وزرتــه ذات يوم فـكان في الهرب حاذق!
لما رآني توارى في بيته مثل سارق !
فقلت : أين الافندي ؟ فقيل: في النوم غارق!
فصرت أنآى وأدنو في ساعة أو دقائق
لمـــا توالى ذهابي وأوبتي منه صافق[1]
نزلت والليل نصف ضيفاً باحد(الفنادق!)
ما كنت غرا ولكن من لؤمه جد واثق
وفي الصباح التقينا في بيت جار ملاصق
فقام لمـــا رآني بلا حياء يعانق !
كانه مـــا رآني للبيت بالامس طارق
فهل رأيتم صفيقاً كمثل هذا المنافق ؟!

---

١ – صفر اليدين .

وهل علمتم لماذا تعاف نفسي الخلائق
ما لامني غير شخص من المرائين مارق

* * *

كن يا (عريفي) بعيدا عن مثل هذي المزالق!
وغش غيري فاني لا أستحي في الحقائق
والناس أشباه بعض لهم ببعض علائق
وبيننا ألف بون وبيننا ألف فارق
فعش بستين وجه كناسك أو كفاسق
وكم (أفندي) و (شيخ) من شر أهل (السوابق)
هذا هجاء خفيف اليك يا (عبد الرازق)
لو أنصفتنا الليالي لكنت عندي كسائق[1]

---

١ - سائق للساقية لا للاتوموبيل .

رثاء

للشيخ شاهين باشا الأسواني[1]

يا خليلا أجل كل خليل وجميلا أحب كل جميل
وعفيفا وإن تهتك في الحسن وأشفاه سهم قال وقيل
كنت من أظرف البرية والله على صدق ما أقول وكيلي
طالما قد ذكرت ربك سرا وتغزلت جهرة في الجميل
ومن الناس من تظاهر بالنسك وفي السر هم أشر قبيل
جهل الناس بعضهم فتمادوا في أذاهم فكم لهم من قتيل
وأنا أقرأ السرائر في الوجه وقلبي على العباد دليلي
حسبنا ما نرى بوجهك من نو ر يقين على اليقين الدخيل
وقد ازدنت بالبشاشة والرقة واللطف بل وخلق جميل
أنت أكرمت في حياتك مثوا نا على بعدنا أنا وزميلي
فقضينا على المودة عهدا خير عهد في ظل ود ظليل
فسلام لو كان يجدي سلام لك من قلب نضو شوق وبيل
وصلت روحك اللطيفة روحي في منام فزاد حر غليلي
كيف أفلت من مكانك في الترب إلى قطرنا العريض الطويل؟!

---

١ – باشا اسم لوالد المرثي لا لقب .

تعبت

الصفو مثل الكمالْ   في الارض شيء محالْ
ورب نجم تراءى   في الماء أدنى منال
انـــا خلقنا لأمر   أراده ذو الجلال
وليس يجدي فتيلا   مع القضاء العقال
إن الجدَّ تساوى   في جده بالنمال
فاصبر وصابر وإلا   للشنق هاك الحبال!

* * *

تعبت في جعل نفسي   للفضل أحيا مثال
لكن أراها تمادت   في عثرة لا تقال
وللغرائـــز حكم   ماض على أي حال
ومن تراب خلقنا   ما في تراب كمال
خذوا الحقائق عني   وعن سواي الخيال
شخص بصير وأعمى   ليسا سواء بحال
في النفس شيء كثير   لكنه لا يقـــال

الفهرس